في المحراب

قصائد في الوجدان الديني

د.أيمن أحمد رؤوف القادري

هكذا أبدأ

قال الله تعالى،

في أواخر سورة «الشعراء»:

وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ
بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أفقي راعد

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدِ المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وبعد:

هذه قصائدُ من مَعينِ الفِطرةِ الصّافية، تنشدُ أن تنطق بالعرفان والإيمان، لتُوقِدَ في النَّفْسِ أنبَلَ معاني التَّقوى، وتعرج بها إلى درجات اليقين، إلى جنّات الخلد، حيث تكتسي أحلامُ العمر أجملَ البُرود[1].

أسأل اللهَ أنْ يبعثَ في هذه الحروفِ الدِّفْءَ، ويُفجِّرَ فيها الصِّدْقَ، وأنْ يكتُبَ لي بها الأجرَ المَنشودَ، وأنْ يَجِدَ فيها القارئُ ما أصبو إليه من خيرٍ يمكث في الأرض.

يا شُعْلَةَ الإسلامِ، قلبي زاهِدُ	لا نَجْمَ بَعْدَ سَنا العقيدةِ واعِدُ
أَلْقَيْتُ عنّي كلَّ ثَوبٍ ضَيِّقٍ	وخَطَرْتُ يَحْضُنُني رِداءٌ واحِدُ
لا أبتغي الإبحارَ في نَفَقِ الثَّرى	ففَضاءُ هٰذا الكَوْنِ أفْيَحُ راغِدُ[2]
مَنْ شاءَ سَجْني في وِصايةِ رأيِهِ؟	أولَمْ أُغادِرْهُ، وفِكْري راشِدُ
مَنْ شاءَ حَصْري في قَرارَةِ قُمْقُمٍ	أوَلَمْ أُحَطِّمْهُ، وأُفْقي راعِدُ[3]
قدْ خُضْتُ في لُجَجِ الخِضَمِّ، أأَرْتَضي	خَلَجاتِ نَهْرٍ، فيهِ ماءٌ راكِدُ[4]
يا أيُّها القَلَمُ، اتَّشِحْ بِبَراءَةٍ	فالكائِناتُ شَتاتُ نُورٍ بائِدُ[5]

---

[1] البرود: مفردها البُرْد وهو كساء مُخطَّط يُلتَحَف به.

[2] الأفيح: الواسع. الرّاغد: السّعيد.

[3] القرارة: الأسفل.

[4] اللّجج، مفردها اللّجّة، وهي معظم البحر، وتردّد أمواجه. الخضمّ: البحر الواسع.

[5] الشّتات: التّفرّق.

همس القُرب

إلى اليد الحانية،

إلى صاحبة القلب الـمُترَفِ بالعطْفِ،

إلى الّتي أضرَمَتْ في ضلوعي الشَّوقَ إلى إرضاءِ ربّي،

إلى أمِّـي العظيمةِ

إليها أُهدِي الكلِماتِ الَّتي تُحِبُّ،

والقصائِدَ الَّتي ترى فيها مرآةَ الاطمئنان.

أوقدتِ في ليلي ضِياءَ الحُبِّ / فإليكِ يا أُمّاهُ هَمْسَ القُرْبِ

في نَبْضِ قَلْبي، في الجفونِ، حِكايةٌ / مَهْدُ الْجَنِينِ بِهَا، ولَفْحُ الشَّيبِ

أوما كتَبْتِ على الأصابعِ في يَدي، / وأنا الرَّضِيعُ، حُرُوفَ لَفْظَةِ «رَبّي»؟

وغدا حَنانُكِ شالَ صوفٍ ساكِنًا / في مَنْكِبَيَّ، إلى دُنُوِّ النَّحْبِ[1]

أمّاهُ، يا قيثارةً أوتارُها / في أضلُعي، واللَّحْنُ آنسَ دَرْبي

وَصَدَاكِ في جَنَباتِ عُمري كُلِّهِ / يَجْتَابُ أَرْوِقَةَ السُّكونِ العَذْبِ

مِنْ نُورِ تَقواكِ امتَشَقْتُ هُوِيَّتي، / وسَلَكْتُ درْبي، مُفْعَمًا بِالغَيْبِ[2]

ونسيجُ أحلامي جمَعْتُ خُيوطَهُ / مِنْ دِفْءِ شَمْسِكِ، وارتَحَلْتُ أُلَبِّي

في كُلِّ كَهْفٍ مِنْ حياتي، شَمعةٌ / مِنْ صُنْعِ قَلْبِكِ، لا تُغادِرُ سِرْبي

نَجْواكِ عصفورٌ، يُغرِّدُ في دمي / ويُقيمُ عُشًّا في غُصونِ القَلْبِ

صَكُّ الوفاءِ رَهنْتُهُ في مُقلَتي / نِعمَ الوديعةُ، في الـمَقامِ الرَّحْبِ[3]

سَأظَلُّ ألتَمِسُ الجِنانَ، بلا وَنًى / في تَينِكَ القَدَمَينِ، أُعلِنُ تَوبي[4]

إنْ ضَلَّ حَرْفٌ مِنْ فَمي، وكَرهتِهِ، / فَلأُعلِنَنَّ على القصائِدِ حَرْبي

أمَّاهُ، كُوني واحةً لا تنتهي، / وارْمي على ثَلْجي حَرارةَ ذَوبِ

---

١ النَّحب: الأجَل.

٢ امتشقت: أخذتُ.

٣ الرّحب: الواسع.

٤ الونى: الضَّعْف.

كلمات وفية

أبي يا ربيعًا جزيلَ الحنان

أبي، يا رَبِيعًا جَزِيلَ الـــــحَنانْ أُحِـبُّـكَ قُــرْبِيَ في كُـلِّ آنْ

فـأنْـتَ لِرُوحيَ قَطْرُ الـــــنَّدى وأنـتَ لِقَـــــلبِيَ بَـرُّ الأَمـانْ

وربَّـــــيْـتَ في حِكمـةٍ وهُـدًى وأَنْشَـــأْتَ في رحمةٍ واحتِضـــانْ

فكيفَ أَعُـــــــقُّكَ يا والِدي؟! أأنْساكَ، إنْ طالَ عهْدُ الـــزَّمانْ!؟

ألمْ يُوصِـــني اللهُ في آيِــــــــهِ بِــــبِرِّكَ، حتَّى أنالَ الجِـــنانْ؟

فيا رَبِّ، أدخِلْ أبي جَــــنَّـــةً، تـكونُ جـزاءَ الَّــذي منــهُ كـانْ

رَحيل العبير[1]

في رثاء والدي مفتي راشيا، الشّيخ أحمد رؤوف القادري

رَسَمَ الـــيَرَاعُ الـــدَّمْعَ بينَ حُروفِي فَـــترَنَّـحَتْ جُمَلي كشَخْصٍ نَزيفِ[2]

ســقَطَتْ مِنَ العُمُرِ الَّذي أهمَلْـــتُهُ أوراقُ خيرٍ، فـارتـقَبْـتُ خريـفِـي

هٰذي الحياةُ... بيادرٌ مِنْ عَســجَدٍ لٰكنْ... أتملِكُ جَمْـــعَها برَغيفِ؟[3]

أُنظُرْ إليها حالـــمًا، بلْ طامِعًا لنْ تَعْدُوَ الـــنَّظَراتِ، غيرَ أَنوفِ[4]

هٰذي الحياةُ... شـــعاعُ نُورٍ كاذبٍ يُلهي العُيونَ بسِـــحرِهِ المـألوفِ

وإذا امرؤٌ شـــاءَ امتلاكَ شَـــرارةٍ منـه، اكتوى بلظًّى أشَـــمَّ عنيفِ[5]

هلْ يرعوي؟ هلْ يكتفي؟ هلْ يَنْثَني؟ لا! مـا بِجُـعبـتِـهِ قـرارُ عُـزوفِ![6]

لا! والَّـذي ســوَّاكَ، ليسَ بزاهِـدٍ حتّى ينـامَ بقَبرِهِ الـــمَرصــوفِ

***

كفَّـــــنْتُ جُثمانَ الأُبوَّةِ صامتًا والـــجُرْحُ فِيَّ مُسَــرْبَلٌ بِحُتوفِ[7]

هَتَفَ الـدَّمُ القـاني بقَلبي أنْ أَفِقْ مِنْ سَكرةٍ في الكَأْسِ ذاتِ صُـروفِ

وتَكلَّمَ الأَلَمُ العَميقُ أنِ انتَـــبِهْ: ما كانَ وَهمًا... غابَ وَجْهُ «رؤوفِ»

***

أبَتاهُ! موكِبُكَ الـمَهيبُ حفَفْـتَهُ بِـنَدِيِّ ذِكرى الـبِرِّ والـمَعروفِ

في هدْأةِ السَّحَرِ ارتَحَلْـتَ على هُدًى والـهَينَماتُ تَمُـــرُّ مِثلَ حَفيفِ[8]

---

[1] كُتِبَتْ في ٦-١٢-٢٠١٠

[2] النّزيف: المحموم.

[3] العسجد: الذّهب.

[4] الأنوف: المتمسّك بالكرامة.

[5] الأشمّ: الشّامخ، العالي.

[6] العزوف: الإقلاع، التَّرْك.

[7] المسربل: المرتدي.

[8] الهينمات: الأصوات الخافتة، ويُرادُ بها هنا الأدعية.

لــــمّا ألَـــحَّ الـــدَّاءُ صاغَ وَعيدَهُ   ألَـــــــــمًا، مُحَيَّاهُ بغيرِ نَصــيفِ[١]

كَمْ شِئْتُ أنْ تَبْقى الـطُّفولةُ واحَــتي   وتـظَـلَّ أنـتَ نخيـلَـهـا وقُـطـوفي

لمْ يرْتوِ القَلْبُ الَّذي في أضلُــــــعِي   مِنْ وُدِّ رُوحِكَ، هاتِ بَعْضَ رَشـيفِ

ألْهَبْـــــتَ في صَدْري مَشاعِرَ تَهْتَدي   بشُـعاعِ نَفْسِـكَ، فابْقَ دُونَ كُسـوفِ

سَـــتَظَـلُّ نَجمًـا في سَمـائي مُوقَـدًا   سَــتَظَلُّ بَدْرًا صَـــدَّ كلَّ خُســـوفِ

يا جُـلَّ تاريخـي، وَجَـوهَـرَ رؤيَـتي،   وَجِــــــماعَ ما في مُتلَدي وطَريفي[٢]

كُنتَ العَبيرَ على الـــثُّغورِ، تضوَّعَتْ   بثَنـاءِ قولٍ صـــــادقٍ وشـــريفِ

حقَّرْتَ أموالَ الــــــطُّغاةِ، فلم تنلْ   مِـنْ طُـهْـرِ قلـبٍ واثـقٍ وعـفـيـفِ

ومَضــــيتَ، ترفُـلُ في الحيـاةِ بعِزَّةٍ   وسِــــجِلِّ مجدٍ شــــامخٍ ونظيفِ[٣]

عَشِقَتْ سريعَ الـدَّربِ نَفْسٌ نافَقَتْ   ولزِمْتَ صِـــدْقَكَ قانِعًا برصـــيفِ

في مُقلَــــــــــــتيَّ عَبـاءَةٌ غَبْرَاءُ لمْ   تُشْـرَكْ بشـيءٍ مِنْ حَريرِ شُـفوفِ[٤]

***

يا أرْحَــــمَ الـــرُّحماءِ أسكِنْ والِدي   في قَصــــرِ جنّـاتٍ أَغَرَّ مُنيفِ[٥]

وأَظِلَّــــــــنا بالــصَّبْرِ يَغْمُرْ عاجِلًا   حُزْنَ القُلوبِ بسَــــلوةٍ ورفيفِ[٦]

---

١ النّصيف: غطاء الوجه.

٢ المتلد: المجد القديم الموروث. الطّريف: المجد المستحدث.

٣ ترفل: تمشي وأنتَ تجرّ الثَّوب.

٤ الشّفوف: نوع من الثّياب الفارهة.

٥ الأغرّ: الواضح، الشّديد البياض. المنيف: العالي، المشرف.

٦ الرّفيف البريق.

أوراق الحياة[1]

أندا...
أقلّبُ في زوايا الدَّارِ عُمْري
أستعيدُ الدُّرَّ مِن بَحْرِي
ولٰكنْ...
صورةُ الموتِ استفاقَتْ في دُجى فِكري
وضاعَتْ بَسْمةُ الأبِ
في فضاءٍ واسِعٍ يَجْري
أنا اليومَ اليتيمْ...
أشْقى...
ولو ثوَتِ الطفولةُ
رُغْمَ نَفْسي
في الأديمْ!
لي ذٰلك القلبُ الأليمْ...
يَرقى
ولو بدَتِ الكُهولةُ
فوقَ رأسي
زَحْفَ نارٍ في الهشيمْ![2]
والدّمعُ فوقَ شتاتِ أحلامي
يَهيمْ...
يبقى

---

١ كُتِبَت في ٩ كانون الثاني ٢٠١١.

٢ الهشيم: العشب اليابس.

ولو غدتِ المَقُولةُ
– مِثلَ أمسي–
نَوحَ مُشتاقٍ قَديمْ!
علَّمتَني أُسطورَةَ الأبياتِ
وتَموَّجتْ فيَّ القصائدُ حُلوةَ النّسماتِ
وزَهَتْ صحارى الذَّاتِ بالواحاتِ.
أشرقْتَ في حَرَمي
شُعاعًا مِنْ رحيقِ الطُّهْرِ يُحْيِيني،
فجابَتْ أضلُعي دَفَقاتُ دِفْءٍ
قاتِلٍ ألَمي
وظلَّ الهدْيُ يَرويني ويَرويني.
أبي،
أَتَأَمَّلُ اليومَ الدَّفاترْ
أستمطِرُ النَّجوى
وأَستجدي الحروفَ صَدى الخواطِرْ
فلعلَّ بعضَ جلالِها يَتَعَقَّبُ البَلْوى
لعلَّ النُّورَ يَغمُرُ رُوحَ شاعِرْ
ويذرُّ فَوقَ جراحِ رُوحي وَردَةَ السَّلْوى
ففي كلماتِكَ السِّحْرُ المُسافِرْ
ها قد تَحَدَّى المَوتَ،
بالبَسَماتِ تَبْتَكِرُ الأزاهِرْ
وتريدُ تَمسَحُ مِنْ وُجودِي لَفْظَةَ الشَّكوى
أبي،
هذي خُطوطُكَ حرَّضَتْ دَمعي

فخالَطَ حِبْرَها في ظُلْمَةِ اللَّيلِ

أبي،

هٰذي حُروفُكَ أوقَدَتْ شَمْعي

فظلَّتْ تؤنِسُ القلْبَ الكئيبْ

واليومَ تَزرَعُ فيهِ أعمِدَةً من النَّخْلِ الرَّطيبْ.

هٰذي الكِتاباتُ الجميلةُ داعَبَتْ سَمْعي

وسالَتْ في شراييني

تُداويني، تُداويني...

ورَجْعُ الصَّوتِ

منْ فوقِ المنابِرْ

يعلُو، يُدَوِّي في فؤادي،

مِثْلَ أُغنِيةِ المُهاجِرْ...

ولسوفَ تبقى عُمْقَ وِجداني

وعنوانًا لألحاني

وعِطرًا لا يُغادِرُ سُورَ بُستاني

أبي،

هيَّجْتَ أَشْجاني

وما أشبَعْتُ بالإحساسِ أوزاني...

ولا أطلَقْتُ إنساني

ولا فجَّرْتُ بُركاني

سأُبقي طَيَّ نفْسي بعضَ أحزاني

لأبقى... دونَ حَدِّ المَوتِ،

أسْهَرُ حارِسًا جُثماني

مع العابدين

رذاذ الطّهر

رَذاذُ الطُّهْرِ يَسْلُكُ في نَهاري ... وفي الظُّلُماتِ مِنْ ليلٍ يُواري

أُفيضُ على الجَوارِحِ مِنْ وَضوءٍ ... فَيُطْفِئُ ما جَرَحْتُ من العِثارِ[1]

وتَخْتَنِقُ الخطايا في انزِواءٍ ... ويَغْمرُ مُهْجَتي سَكَنُ القَرارِ

سأغسِلُ هذهِ الأدرانَ خَمسًا ... فهذا النَّهْرُ ثَجَّاجُ المَسارِ[2]

وما لي لا أَكُونُ غداةَ بَعْثي ... أَغَرَّ مُحَجَّلًا، والخُلْدُ داري[3]

وما لي لا أُزَحزَحُ عن جَحيمٍ ... وآمَنُ أنْ أكونَ وَقودَ نارِ

وُضُوئي تاجُ دُرٍّ لا يُضاهَى ... وإكليلٌ تَقَلَّدَ كُلَّ غارِ

وإنْ نَهَشَ ارتِعاشُ البَرْدِ جِسمي ... فإنَّ وُضوءَ دِفْءٍ فيهِ سارِ

وُضُوئي تَستقيمُ بهِ صَلاتي، ... وهل تَجري النُّجومُ بلا مَدارِ؟

وُضُوئي للتِّلاوةِ في كتابٍ ... يُريقُ الدَّمْعَ مِنْ مُؤَقِ الضَّواري[4]

وُضُوئي للصَّلاةِ على أَليفٍ ... أُشيِّعُهُ بِصَمْتٍ واعتِبارِ

فيا جسَدي الَّذي قد جَنْدَلَتْهُ ... سُيُوفُ الإثْمِ، عِشْ حُرَّ القَرارِ[5]

تَحَدَّ الزُّخرُفَ الجاني بِبِشْرٍ ... وأرغِمْ أنْفَ «أسلِحةِ الدَّمارِ»

تَحَدَّ، فإنَّ دِرعَكَ ذاتُ بأسٍ ... وقلبَكَ مَلَّ أغشِيةَ الغُبارِ

أليسَ الماءُ يُنْشِئُ كلَّ حَيٍّ ... ويَروي الكائناتِ مِنَ الأُوارِ؟[6]

توضَّأْ، أحْيِ قَلبَكَ، وارْوِ غُلًّا، ... وقُلْ للنَّفْسِ: أعلَنْتُ انتِصاري

١العثار: الزّلل

٢ الأدران: الأوساخ. الثّجّاج: الشّديد الانصباب.

٣ الأغرّ: المبيضّ الوجه. المحجّل: المبيضّ الأطراف.

٤ المؤق: أطراف العيون. الضّواري: الحيوانات المولعة بأكل اللّحوم.

٥ جندلته: صرعته (وهي لفظة محدثة).

٦ الأوار: العطش.

أصلّي صادقَ الأَمْرِ

أُصَــلِّي صَــادِقَ الأَمْـــرِ فَيَغْنى القَلْبُ بالـــبِشْــرِ
وأرْكَعُ مـــالِـــئًا رُوحي بما عُلِّمْـــتُ من ذِكْـــرِ
وأســجُـدُ، كــلُّ أوصـــالي تُســبِّحُ خــالِقَ الـــخَيْرِ
فــيــا مَــولايَ، لا أرضـــى سِـــواكَ يَجـولُ في سِـــرِّي
أُصـــلِّي طالِـــبًا قُرْبى ونَــيــلَ الــعَــفْــوِ والأَجْـــرِ
صــــلاتي رَمْـــزُ إيمـــانٍ وعنوانٌ مِنَ الـــطُّهْـــرِ
صـــلاتي مَعْبَرُ الـــتَّقْوى وخيرُ مَســالِكِ الـــشُّـــكْر

أَطَلَّ المَسجِدُ الغالي

أَطَلَّ المَسْجِدُ الغالي	فزَغْرَدَ كُلُّ أطفالي
وكانوا لِلأَذانِ صدًى	يُدغْدِغُ فِيَّ أوصالي
وقالوا: قُمْ بنا نَنزِلْ	نُصَلِّ الظُّهْرَ في الحالِ
توضَّأْنا وصلَّيْنا	بإيمانٍ وإجلالِ
فحُبُّ اللهِ وحَّدَنا،	بِأفعالٍ وأقوالِ
وبَيتُ اللهِ نادانا	فجِئْنا دونَ إِمْهَالِ
هنيئًا لي بأطفالي	فهمْ أغلى مِنَ المالِ

أسرار
(في هدأة قيام اللَّيل)

ترشَّــفْ سُــلافاتٍ، وإنْ كُنْتَ أشْــيَبا ... ولا تُسْـــقَها سِــرًّا، تُرِيدُ تَهَرُّبـــا[1]

ترَشَّــفْ زُلالَ الــسَّـلْسَـبيلِ وكوثَرٍ ... وحَدِّثْ بِــنُعْمى اللهِ حَرْفًا مُذَهَّـــبا[2]

لعلَّكَ تَلْــقى مِنْ نَــبِيِّكَ غُرْفةً ... تُساقُ بكَفَّيْــهِ، لِثَغْرِكَ، كالــصَّـــبا

ألا فاسكُبِ الدَّمعَ المـُشعشَعَ بالهُدى ... ليُومِضَ في ليـلٍ حبـاكَ الــتَّقرُّبا[3]

تَـقَـرَّبْ إلى البـاري بفَـيضِ إنابـةٍ ... وأيقِظْ رُقادَ الــنَّفْسِ، عِظْــها مُؤَنِّــبا

وأطلِقْ تسابيحَ الــسُّجودِ مُتَمْــتِمًا ... لتَعرُجَ كـالــنَّسْــرِ، ارتَقى وتوثَّبـا

هنـــا تَهجُرُ الأوثانَ نَفْسُكَ، بلْ هُـــنا ... تُحطَّمُ، فاصــنَعْ مِنْ يَــقينِكَ كَوكَبا

هنا تَطهُرُ الأعماقُ مِنْ فَــتَكاتِها ... كأنَّ ضِــياءَ الــتَّوْبِ لاحَ فذوَّبا

***

وليلٍ جميلٍ صمـــتُهُ وسُكونُـــهُ ... إليهِ رنا شـوقُ الــنُّفوسِ تَرَقُّـــبا

فــتُمليهِ آلامَ الــسِّنــينَ وعبْأَها، ... وتـبكي دُموعًا، أعـيُنٌ تَـذكُـرُ الـصِّبا

وتَـــختالُ أحلامٌ تَمزَّقَ سِـــترُها ... على طيفِ أشلاءٍ تُـــريدُ الــتَّوثُّـــبا

وتَـرتَجِـفُ الأَسمـاءُ، ثُمَّ يُـعـيـدُهـا ... إلى راحةِ الــنِّسيانِ نورٌ تسـرَّبا

كـأنَّ شُــعـاعَ اللَّيلِ لاحتْ خُيوطُهُ ... فأصــبَحَ وهْمُ الشَّــمسِ يَبْزُغُ في الرُّبى

فهامـَتْ شُجونُ الــنَّفسِ دونَ هَوادةٍ ... وأرهَفَ إحساسُ الفُؤادِ تَهَـــيُّــبا

فللَّـــيلِ أسرارٌ يَكادُ غُموضُها، ... إذا ما رأى الإنسانُ، أنْ يَــتَحَــجَّبا

---

[1] السّلافة: أفضل الخمر. الخلاصة من كلّ شيء.

[2] الزّلال: الماء العذب الصّافي البارد.

[3] المشعشع: الممزوج. حباك: أعطاك.

أنداء الهدى

(ليلةُ القدر)

هيَّـا، مَـلائِـكَـةَ الْـوُجـودِ الأَرْفَـعِ — الأَرْضُ في شـوقٍ إليكِ، فَأَسْـرِعي

هِيَ لَيلَةٌ عُـظْمَى، سَرَتْ عَتَماتُـها — دِفْئًا رَغيدًا في صَـقِيعِ الأَضْـلُعِ[1]

سُكِبَتْ على الأَكوانِ أنداءُ الْـهُدى — وَتَنَـزَّلَ القُرآنُ.... يا أَرْضُ اخشَعي

هٰذي شِـفاهُ الـمُؤمِنِينَ تَهامَسَـتْ — بالـذِّكْرِ والـتَّرتيـلِ بينَ الأَدْمُعِ

يا نَفْسُ جُودي... تِلكَ واحةُ عابدٍ — ودَعِي الـتّقلُّبَ في وُحولِ البَلْقَعِ[2]

وتنزَّلِي فينـا، ملائكـةَ الـنَّدى، — حتَّى يُطِلَّ الفَجْرُ، فَجْـرُ الرُّكَّـعِ

---

١ سرتْ: انتشرتْ

٢ البلقع: المكان الخالي من كلّ شيء.

رِحْلة العُمر (الحجّ)

أُحَلِّقُ فَوقَ أَشْرِعةِ الفَضَاءِ ... وحَولي الغَيْمُ مَحبوكَ الرِّداءِ

تُناجيني الغُيومُ بلا وسيطٍ ... ويَضْحَكُ بينَها قَمَرُ السَّناءِ

إلى أرْضِ الحِجازِ الرَّكْبُ يَمضي ... بأفئدةٍ سديداتِ الرَّجاءِ

ويَحْدُوها اشتياقٌ قد تَنامى ... فأعيا الطِّبَّ عَنْ دَرَكِ الدَّواءِ[1]

تُخَالِجُني الرّقائِقُ مُلحِفاتٍ ... ويَعروني الهُيامُ بلا انكِفاءِ[2]

أحقًّا يمَّمَ الطَّيَّارُ وَجْهًا ... إلى أرضِ النُّبوّةِ والضِّياءِ؟؟!

عُقُودٌ مِنْ جَنى الأحلامِ مرَّتْ ... وها تأويلُها يَهْفو إزائي

***

وفي حَرَمِ المدينةِ لي ظِلالٌ ... وأَنْداءٌ وثيراتُ العَطاءِ

دخلْتُ، وقلبيَ المُشتاقُ يُصغي ... إلى صوتِ التِّلاوةِ والدُّعاءِ

جموعٌ أقبَلَتْ من كلِّ صَوبٍ ... لِتَسْجُدَ خالياتٍ من رِياءِ

هنا أَرَجُ العِبادةِ والتَّسامي ... وأذكارُ الصَّباحِ إلى المساءِ

مَعانيها تَفيضُ رَذاذ مِسْكٍ ... فتَخْتَلِجُ الضُّلوعُ بالارتواءِ

هنا قَبرُ النَّبِيِّ وصاحِبَيْهِ ... ومُقتَرَنُ الجلالةِ والثَّراءِ

حثَثْتُ الخَطْوَ مُغتنِمًا صلاةً ... بِرَوضتِهِ الشَّريفةِ في صَفاءِ

أغيبُ عنِ الحياةِ وما عَليها ... وأَمْضي في وُجُودٍ ذي بَهاءِ

تذكَّرتُ الصَّحابةَ كيفَ نالُوا ... لذيذَ القُرْبِ... يا طِيبَ اللِّقاءِ!

فهل ألقى النَّبِيَّ وأستقيهِ ... على عَتَباتِ جنَّاتِ الرَّخاءِ؟!

***

---

١ الدّرك: الإدراك.

٢ الرقائق: المراد بها النّصوص التي تُحدِث في القلوب رِقّة ورحمة وخشوعًا. الملحِفات: المُلِحّات في السؤال.

خَـرَجـنـا، والـعـيـونُ مُـوَدِّعـاتٌ بـدَمعٍ طـاهِرٍ لجِـبِ الــــجَواءِ[1]
تـرَكـنـا، والـقُـلـوبُ مُـقَـطَّـعـاتٌ، مَــــحاريبَ الخُشــوعِ والارتِقاءِ
وعِنـدَ بُلوغِنا الــــميقاتَ ذابَتْ جِراحُ الــنّأيِ في أَلَقِ الــــنَّقاءِ
وكــلٌّ بــعــدَ إحــرامٍ تــبــدّى غَـــــريبًا في الفُؤادِ وفي الكِســاءِ
وهــا دربُ العبورِ يَلوحُ طَلْقًـا ويَحتضـــنُ الأحبّـةَ في احتِفـاءِ
مَضَيْنا، والشِّفاهُ مُلَـــــــبِّياتٌ ونُـورُ الحَـرْفِ يَـعْـرُجُ في الـعَـلاءِ
وحَـــــــبّاتُ الرِّمالِ مُرَدِّداتٌ وأشتاتُ الــحَصَى، وفَـــمُ السَّماءِ
كــأنَّ الْــــحَرَّ ليسَ لــهُ وجودٌ كأنَّ الأفْقَ مَـــمْزُوجٌ بـــماءِ
كأنَّ الشَّمسَ، حِــــينَ رأتْ عِيانًا حَجيجَ البيتِ، أَغْـضَتْ في حَـياءِ

***

أطلَّــتْ كعبــةُ الرَّحـــمنِ تُلقي على الأَوْصالِ بَرْدًا مِنْ هَـــــناءِ
وأَسْــرابُ الحَجِيجِ تَطوفُ جـذْلى وتقـصِـــدُ مـاءَ زمزَمَ في ظَمـاءِ
ويَحلو السَّعْيُ في أَوْسَاطِ جَــمْــعٍ شَتيتِ اللِّسْنِ، مُـــتَّحِدِ الــنِّداءِ
وواســطةُ الـــمُنى رَجْمٌ صــبيبٌ بأرضِ مِنى، يُجلْجِلُ بــــــالوَلاءِ[2]
ترى الجَمَراتِ تَسْـقطُ مُردِفـاتٍ فــترتـفِـعُ الـعـقـيـدةُ بالـبَراءِ
وفي عـرَفـاتَ ســاعـاتٌ طِوالٌ مـنَ الـرَّحَمـاتِ تَهْمي في جَـداءِ[3]

***

أفـيضـــي، يا قـلائـدَ ذكـرياتي على جَنَباتِ عمري بالـــــرِّفاءِ[4]
فـأطيـافُ المنـاسِـــكِ خـالِـداتٌ يَزُرْنَ خريفَ ليلي، بـلْ شِـــتـائي
لعَـلَّ شــــذا القَبولِ يَزورُ قَبْري فَتَسْــكُنَ أَضْـلُعِي سَـكَنَ الرِّضـاءِ

---

١ اللجِب: المضطرب. الجواء: شدّة الشوق.

٢ الواسطة: أجودُ ما في القلادة، وهي درّة في وسطها. الصبيب: المصبوب. يجلجل: يحدِث صوتًا شديدًا.

٣ الجداء: الغِنى والنفع.

٤ االرِّفاء: الالتئام والاتّفاق.

لحظات من التّفكّر

إلٰهي

إلـــهي، لا تَـــكِلْني للأنامِ   ودَعْـني بـينَ أقـواسِ الـكَـلامِ

ويا لَـكِ مِنْ عَلامـاتٍ لوَقفٍ   تَصونُ الـنَّفْسَ مِنْ شَرَهٍ مُدامِ

كـأنِّيَ بينَ أقواسِ انتِصـارٍ   تُظَلِّـلُ هـامتي، بـلْ كُـلَّ هـامِ

وغرِّبْـني بعيدًا من ضَلالي   وهَـبْني الـرُّشْدَ في كَهْفِ الأَثامِ

إلـهي، أنتَ تَدري ما بقَلبي،   إلـهي، أنتَ تدري: ما مَرامي؟

فأوقِدْ فِيَّ حُـبَّ جِنانِ خُلْدٍ   وأطـفِـئْ فِيَّ أهـواءَ الحَـرامِ

وهـلْ أيَّامُـنـا إلَّا سَـرابٌ   وأحلامٌ تَـمَلُّ مِنَ الـنِّيامِ؟!

إلـهي، عَفْوُكَ الـضَّافي مَلاذي،   وإلَّا فالـمَذَلَّةُ في الـمَلامِ[1]

أتوبُ إليكِ ربِّـي من ذُنوبٍ   تُـحـاصِرُني وتُمْعِنُ في اقتِحامي

وأرجو مِنْ يَقيـني أنْ يَقيني   سُـمومَ لظًى، تَغَلغَلُ في عِظامي

---

١ الضَّافي: الكثير.

أسبّح اسمَك

دعَوتَ قَلْبي، فلـــبَّى، وهْوَ مَشدودُ ... وفي الــــــمَســـامِعِ للقُرآنِ تَجويدُ
أســـبِّحُ اسمَـكَ، والآياتُ مـاثِلـةٌ ... لِناظِرَيَّ، بها للقَـــــلْبِ تأكيدُ
فكلُّ ما حَوَتِ الأكوانُ شـــاهِدةٌ ... أنْ فوقَها خالِقٌ، لا شـكَّ، مَوجودُ
ذو قُوَّةٍ تــــتجــــلَّى في خلائِقِهِ ... فكُـــــلُّهُنَّ عبيـدٌ، وهْوَ مَعبودُ
يا واسِعَ الرَّحمةِ اغْفِرْ ذنْبَ مُقتَـرِفٍ ... غــــرَّتْهُ أهواؤُهُ، والــــرُّشْدُ مَفقودُ
ظَمآنُ، أبْحَثُ عمّا للــــكِيانِ بِهِ ... رَيٌّ الــــغَليلِ، وللآمالِ تَمديدُ
فلاقتِ الـنَّفسُ في تَقواكَ مَأْرَبَــــها ... وإنَّ راحتَهـا شُـــكرٌ وتوحيـدُ
لأجعَـــــلَنَّ هُدى القُرآنِ لي سنَدًا ... ففيهِ للـــشَّكِّ والإضلالِ تَـــبديدُ
أيا عَظيمًا بَكَتْ عَيني مَهابَـــــتَهُ ... وهَلْ سواكَ لِكُلِّ الأَمْرِ مَــــقصودُ
إِليكَ أوكَلْتُ أَمْري، أنتَ مُعـتَمَدي ... ولــــيتَــــني منكَ بالغُفرانِ مَوعودُ

***

تَـــــمضـي الحياةُ وتَفنى غيرَ مُجدِيةٍ ... إلّا وإرضـــاءُ رَبِّ الكَونِ مَنشـــودُ
وهذهِ الأرضُ عنها المرْءُ مُـــــرتَحِلٌ ... فلا يَصِـــحُّ بهـا عيشٌ وتَخليـدُ
إذا نمَتْ في ظِلالِ الهَدْيِ أفــــئدةٌ ... أقامَ فيهِنَّ حُسْنُ الخُـــلْقِ والـجُودُ
وخوفُ يومٍ بهِ الأنظارُ شـــاخِصــةٌ ... والعَدْلُ فيهِ مِنَ الــــرَّحمنِ مشـهودُ
فلا البنونَ ولا الأموالُ شــــافِعـةٌ ... ولن يكونَ بها للــــدَّينِ تســديدُ
آمنْتُ باللهِ ربّي، والــــسُّــجودُ لهُ ... شُكْـرٌ على نِعَمٍ، لمْ تُحصَ، محْدودُ

المصير

لَحَـــــظاتُ الوُجودِ قَيدُ الـنَّفادِ — وارتِقابُ المـَماتِ عينُ الرَّشادِ
ليستِ الـدُّنيا مَرتَـعًا للأماني — ينْـتَهي العُمْرُ قبلَ نَـيْلِ الـمُرادِ
يا لها مِنْ مَباهِجٍ مُهلِـكاتٍ — تُلبِـسُ الإثمَ أجملَ الأبرادِ![1]
تَـخدَعُ الـدُّنيا الـنَّاظِرينَ إليها — فيسـيرونَ خلفَها في اعتِـدادِ
وتُـمنِّيـهِمُ بأبهى وُعودٍ — وهُمُ مُمعِـنونَ في الانـقِيادِ

***

خابَ منْ أفسَدَ الحياةَ بلَـهْوٍ — مُعرِضًا عنْ مسالِكِ الـزُّهَّـادِ
وأشاحَتْ عنِ الهُدى مُقـلَتاهُ — فمشـى حيثُ قادَ صـوتُ الفؤادِ
غرَّهُ أنَّ للمَسَـرَّاتِ سِـحرًا — لم يزلْ يسـتبِدُّ بالأجسـادِ
وإذا مـا دعـاهُ للـنُّورِ داعٍ — صَـمَّ آذانَـهُ عنِ الإرشـادِ
مـا لِقلـبٍ مُشـرَّدٍ أن يُعـافى — وبـهِ شَـكٌّ في مَـآلِ العِبـادِ

***

هَدْأةُ الـنَّفْـسِ في يقـينٍ وتقْوى — وعذابُ الـنُّفوسِ في الإلحادِ
فاتِّـقاءُ الهُمومِ أمرٌ مُـحالٌ — في خِضَـمِّ الإعيـاءِ والإجهـادِ[2]
ومَصـيرُ الحياةِ موتٌ وشـيكٌ — تخمُدُ الـرُّوحُ فيهِ بعدَ اتِّـقادِ
والفَـناءُ الـمَحتومُ فيهِ ادِّكارٌ — يُوقِظُ الـنَّاسَ مِنْ عميقِ الـرُّقادِ
إنَّ يومَ الحِسـابِ، لا بدَّ، آتٍ — إنَّ ربَّ الـسَّماءِ بالـمِرصادِ

---

[1] الأبراد هي الأثواب المخطّطة.

[2] الخضمّ: البحر الواسع.

أنتَ والجوعُ!

تاللهِ يا قلــبُ، أنــتَ اليومَ مَوجوعُ وذا أنينُــكَ في الأرجــاءِ مَســـموعُ

حاوَلْتُ نزْعَكَ، لٰكنَّ الــضُّلوعَ أبَتْ فاهنَــــأْ بطِيبِ مُقامٍ أنتَ والجُوعُ

في سامِقاتِ النُّــــجومِ، المجدُ مؤتلِقًا لٰكنْ... أيُنعِشُها في الــدَّهْرِ يَنبوعُ؟[1]

وفي الجِبــالِ صُــــخورٌ غيرُ واهِنــةٍ لٰكنْ... أيَبْلُغُها للـــــمَوجِ تَرجيعُ؟

يا ابنَ الــتُّرابِ، تأمَّلْ في الــوجودِ مَعي لعلَّـــــنا نَلتقي، والكِبْـــرُ مَصفُوعُ

لن تَملِكَ الــــنُّورَ نَفْسـي! جُلُّ قُدرتِها أنْ تَستَظِلَّ به، فلْيَقْــــنَعِ الــرُّوعُ[2]

وإنْ أشأْ ضَمَّ هٰذا الــــنُّورِ أحرَقَــني كأنَّـــني شجرٌ في الــنَّوءِ مَصدوعُ[3]

وإنْ تشـــأْ مُقلَتي إطفــاءَ حُرقتِهــا فالــــسَّلســبيلُ بقلْبِ الحُرِّ مَجموعُ

ســـوانِحُ الـــــذِّكْرِ تَروي البِيدَ قاطبةً فيُخسَفُ الــشَّوكُ، والــتَّكبيرُ مَرفوعُ[4]

---

١ السّامقات: المرتفعات. المؤتلق: اللّامع والمضيء.

٢ الرّوع: القلب– العقل.

٣ النَّوء: المطر الشّديد– مصدوع: مشقوق.

٤ السّوانح: الطّيور الميمونة. البيد: الفلَوات– الأراضي الواسعة المقفرة.

إلى الإنسان

مِن فَيضِ وحْيِ اللهِ في الأكوانِ ... تتلألأُ الدُّنيا مدى الأزمانِ

هوَ مُبدِعُ الأشياءِ، قالَ لأصلِها: ... كوني، فكانتْ آيةَ الإتقانِ

هوَ واهِبُ الإنسانِ من آلائِهِ ... دُرَرًا تُرصِّعُ شامِخَ التِّيجانِ

أوما حَباهُ الفِكْرَ منذُ وُجودِهِ ... ليَخُطَّ دَرْبَ المُنتهى بأمانِ؟[1]

فعلامَ تزهو فيهِ نَشوةُ عقلِهِ ... ويقولُ: «هٰذا الكونُ مِلْكُ بَناني!»

«طوَّعْتُهُ كالعَبْدِ فهْوَ مُسخَّرٌ ... لِمَشيئتي، والمجْدُ للإنسانِ»

«أنا سيِّدُ الأكوانِ، فالعِلْمُ الّذي ... شَقَّ الدُّجى، حُمَمٌ لدى بُركاني»

***

تبًّا لِمَنْ لمْ يدرِ قيمةَ نَفْسِهِ ... وأضاعَ فَضْلَ العَقْلِ بالهَذَيانِ

تبًّا لهُ، أوَليسَ يُدْرِكُ ما الّذي ... في الكِفَّةِ الأُخرى مِنَ المِيزانِ؟

مَنْ أنتَ في بحْرِ العُلومِ؟ أقَطْرةٌ ... منْ مَوجةٍ نُثِرَتْ على الشُّطآنِ؟

حطِّمْ غُرورَكَ هٰهُنا، واسمَعْ معي ... هٰذا الهُتافَ يَضِجُّ في الآذانِ:

«لا فَضْلَ في عِلْمٍ تَلاشى عِطرُهُ، ... والمجْدُ، كلُّ المجْدِ، للرَّحْمٰنِ»

***

الشَّمسُ تُلقي النُّورَ كلَّ هُنيهةٍ ... والبدْرُ يسألُها الضِّياءَ الفاني

هوَ صورةٌ فاضَتْ عليها نَظرةٌ ... والشَّمْسُ تُلقيها منَ الأجفانِ

أرأيتَهُ ينسى حقيقةَ أصلِهِ؟ ... أوْ يدَّعي يومًا عُلُوَّ مَكانِ؟

لا! ليسَ يُخفي أينَ مَوئِلُ نُورِهِ ... فلقد تخطَّى عالَمَ الإنسانِ![2]

***

يا أيُّها الإنسانُ أنتَ حقيقةٌ ... ما دغدَغَتْها طَفْرةُ الأكوانِ[3]

حَرِّرْ فؤادَكَ مِنْ دَمٍ مُتَحجِّرٍ، ... ودعِ التَّكبُّرَ، وامضِ للإيمانِ

أسفًا عليكَ! نسِيتَ أنَّكَ مِنْ ثرًى ... والإنسُ والنِّسْيانُ مُقترنانِ

---

[1] حباه: أعطاه.

[2] الموئل: المرجع.

[3] الطَّفرة: القفزة.

واحات التّوبة

هتفَ الإثمُ

هتَفَ الإثمُ في صـدورِ الـــنَّاسِ فاســـتفاقَتْ غرائزُ الإحســـاسِ

ليسَ في رَغبةِ الفؤادِ اضْـــطبارٌ أوْ فِرارٌ منَ المـآلِ القــاســـي

إنْ خَبَـتْ عَنوةً فلا بُـدَّ يومًـا أنْ يَـدِبَّ الحنينُ بعْـدَ نُعـاسِ

فـلْيَـكُـنْ لـلـفـؤادِ بـرٌّ أمــانٍ يَـــــتَّقي فيـهِ أعيُنَ الحُرَّاسِ

لا يرى اللَّومُ من ســبيـلٍ إليـهِ بعـدَ أنْ زالَـتْ سَــطْوةُ الخنَّـاسِ

رَغَـبَــاتُ الـحـيــاةِ لا تَـتَــوارى وسُلوكُ الــحَلالِ أجْدى احْتِراسِ

عليك توكّلي

عليكَ توكُّلي، ما عِشْــتُ، ربّي　　أعِنّي، إنّ عونَـكَ كـانَ حَسْـــبي

أعنّي، في رضـــاكَ عليَّ نورٌ　　أحبُّ إليَّ من نزَوَاتِ صَـــبٍّ[1]

يَسـيلُ شُـعاعُهُ كالسَّـيلِ عَذْبًا،　　ويَخترِقُ الـــذُّنوبَ لِصَـيْدِ قَلْبِي

إذا الإيمــانُ فـجَّـرَ فيَّ عـزْمًـا　　فلسْـــتُ بآبِهٍ لصِـــعابِ درْبي

وإنْ تكُنِ الأفـاعي ذاتَ مَكْرٍ　　ففأسـي تَشـدَخُ العاتي، وتَسـبي[2]

ولو نادَتْ ضُـلوعيَ صـارخاتٌ　　مِنَ الأعماقِ، لانكفأتْ تُـلَـبّي

فوِجداني يَضِـــجُّ بصـــافياتٍ　　مِنَ الإحساسِ، مُنذُ غُرِزْنَ جَنْـبي

وكيفَ تَخونُ فِطرَتِيَ اشــتياقي　　إلى الآلاءِ تُلْقي الـمِسْكَ قُرْبي[3]

فلا الـــسَّرّاءُ في الـــدُّنيا مَرامي　　ولا الإفلاتُ من ضـــرَباتِ غيبِ

ولٰكنْ كـلُّ مـا تَرْجوهُ نفْســـي　　قَبولُـكَ تَوْبَتي من بعـدِ ذَنْبي

---

١ الصّبّ: المشتاق.

٢ تشدخ: تشجّ، تُحدِثُ جرحًا. العاتي: الجبّار. تسبي: تأسر

٣ الآلاء: النِّعَم.

توق

توقٌ شديدٌ مُقيمٌ كيفَ أُخفيهِ؟   وكيفَ أحمي ضُلوعي من تلَظِّيهِ؟

توقٌ تَمَلَّكَ أوصالي ليَمنَعَني   مِنَ التَّنقُّلِ إلَّا حيثُ أُرضيهِ

فما أُحِسُّ برُوحي، وهْيَ راغبةٌ   عنِ المَرامِ الَّذي أصبحْتُ أَبغيهِ

أغفَلْتُ رُوحي بلا عُذْرٍ ألوذُ بهِ   إنْ عُدْتُ يومًا، فألقى مَنْ أُناديهِ

لا... لنْ أظلَّ سَجينَ الْوَهْمِ في نَفَقٍ   وَهَبْتُهُ عُمُري، أُرمَى، وأَرميهِ

كفى التَّمرُّغُ في الأهواءِ سابغَةً   وُحُولُها... وغَدي يَجتَرُّ ماضيهِ[1]

آنَ الأوانُ لإنقاذِ النَّقاءِ ضُحًى،   إذ تُشرِقُ الشَّمسُ، تَطوي كلَّ تَشويهِ

وإذْ تُطِلُّ الغُيومُ البيضُ راقِصةً   رَقْصَ العَفافِ، فأَنسى ظُلْمَةَ التِّيهِ[2]

يا زَغرَداتِ الهُدى، هيَّا اطرُدي زُمَرًا   نواعِبَ البُومِ، مِنْ قلبي، وزَكّيهِ

حتَّى تُحلِّقَ في أُفْقِي وخاطِرَتي   وَرقاءُ تُنعِشُ إيماني وتَرويهِ[3]

وتَستَكينَ... أخيرًا... ريشةٌ هَبطتْ   في جَنَّةٍ، فانْزَوى الماضي، وما فيهِ

---

١ السّابغة: الواسعة.

٢ التّيه: الأرض المضلّة، لا علامة فيها يُهتدى بها.

٣ الورقاء: الحمامة.

ندم وتوبة

مـا لِعَيني لمْ تجْرِ فيهـا الـدُّموعُ؟! مـا لِقلبي يَفِرُّ منـهُ الخُشـــوعُ؟!

غـافلَتْني الـذُّنوبُ ثمَّ اســتباحَتْ حُـرْمـةَ الـرُّوحِ، فـارتمَيْـتُ أُطيـعُ

يا لَنفسٍ أمّـــــارةٍ بالمعاصـي ذلَّلَـــــتْني، فبـانَ منّي الخُضوعُ

كيفَ أرضـى عِصيانَ ربٍّ كريمٍ؟ ويحَ نفْســي! أَمُهْجتي تَســتطيعُ؟

ليـتَ أُمّي، وا خَيْبَتي، لمْ تلِـدْني ليتَني مُتُّ واسـتراحَ الرَّضيــــعُ

أأنا أعْصي خالقي؟ كيــفَ أحْيا في حِماه؟ تـــبًّا! صَنيعي فظيـعُ!

ما الَّذي قدْ كَسَبْتُ؟ أقْفَرَ قلْــبي مِنْ صُداحِ الهُدى، كأنّــي صريعُ[1]

أَعصِـــرُ العَيْنَ رغبـةً في دموعٍ فأراهـــــا تحجَّرتْ، فـــأَرُوعُ[2]

نارُ إبليسَ جفَّفَـتْ كـلَّ دمْعي فسُجودي مُعطَّشٌ، والرُّكـــــوعُ!

أيُّ شيءٍ يمحو قذارةَ فِعْلـــي؟ أيُّ توبٍ يُجـدي، وذنبي شَــنيعُ؟!

هـلْ لِـذَنبي صُـــبابـةٌ مِنْ دواءٍ فأُعافى ولا يعودَ الخُنـــــوعُ؟؟[3]

ندمٌ أرتجيه يَنْهَشُ لحْمـــــي فتَزولُ الأوصـــــالُ ثُمَّ الضُّـلوعُ

إيهِ نفْسي اللَّـوّامةَ، ابكي وتُوبي ولْيَكُنْ بعدُ للرَّشـــــادِ رُجوعُ[4]

بَدِّدِي خُدْعةَ الهوى، وأبيـــدي كيدَ إبليسَ، فالمماتُ سَـــــريعُ

رَبِّ باعِدْ بيني وبيـــنَ الخطايا أنتَ ربّي، أنـــتَ البصيرُ السَّميعُ

ضَـعْفُ قلبي أضـاعَ بَهْجةَ نفْسي، فأغِثْني، إنّي أكادُ أَضـــيـــعُ

أجْرِ في مُقْلَتي الدُّموعَ، ليَفْنــى دَرَني، في ليلٍ بكَتْهُ الشُّـــموعُ![5]

---

١ الصّداح: الطرَب في الصّوت المرتفِع.

٢ أروع: أفزع.

٣ الصّبابة: البقيّة القليلة من الماء.

٤ إيه: لفظ للاستزادة من كلام أو فعل.

٥ الدّرن: القذارة.

إلى واحة الإيمان

يا نَفْسُ، رحمةُ ربّـــي بابُ آمــــــالي، وإنْ صُـــدِدْتُ أأَشْــفِي غُلَّ أوصـــالي
نَسيرُ في ظُلْمةِ الآثــامِ، تَحْجُـــــبُنا عــنِ الهِـدايــةِ دَرْبٌ ذاتُ أوْحــال
ففيمَ نرضـــى، وشمسُ الحقّ هــاتفــةٌ، عِشْقَ الـضَّـبابِ، ونَهْوى وَهْـمَ أطفالِ؟!
يا نفسُ، لا تَعشقي إلَّا الـــنُّجومَ عَلَتْ وسَـــيَّجَتْ مُلْــكَها بالسُّنْدُسِ الـغالي[1]
يا نفسُ، لا تَطلُبي إلّا بَريقَ جنًى، في صِــدْقِ لألائِهِ أشــواقُ أعــــمالِ
ليـتَ ابنَ آدمَ يَنقى من خبـائِثِــــــهِ ويَعبُرُ الــــــجِسْــرَ منْ حالٍ إلى حالِ
لٰكنَّــــــــهُ قدَرُ الإنســانِ... تَخدَعُهُ عُـطورُ شَـــوكٍ، وإيـقــاعــاتُ زَلـزالِ
يَظنُّ نَهْشَ الأفــاعي قُبلــةً مُزِجــتْ بالـــشَّهْدِ، يَقطُـــــرُ منهُ خَدُّهُ العالي[2]
لا، يا ابنَ آدمَ، مــا في البَحْرِ لُؤْلؤةٌ ينــالُهــا كـلُّ مـن يَـلْـهـو بـغِـربالِ!
فــاخرُجْ إلى واحَــةِ الإيمــانِ مُبتَعِـدًا عـن السَّـــرابِ، ولا تَـقـنَـعْ بعِـرزالِ
كنْ في الـصِّراعِ، وفُزْ بالـنُّورِ تَحضُــنُهُ ألسْتَ من أُمَّـــــــةٍ عجَّتْ بأبطالِ؟[3]
حطِّمْ هَواكَ، وشَيِّدْ فَوقَ جُــــــثَّـــِـتهِ بُرْجَ انتصارِكَ، واصدَحْ هانئَ الـــبالِ[4]

---

١ السّندس: نوع من رقيق الدّيباج، وهو قماش.

٢ الشّهد: العسَل.

٣ عجّت: امتلأت.

٤ اصدح: ارفع صوتك بالطَّرَب.

مناجاة

إلٰهي، أَغِثْنِي، فُؤَادِي سَـــقِيمْ وَدَمْعِي عَصِـــيٌّ، وَذَنْبِي عَظِيمْ
إلٰهي، لَقَدْ ضَـــاقَتِ الأَرْضُ بِي وَأَصْـــبَحْتُ أَسْـــرِي بِلَيْلٍ بَهِيمْ[1]
نَهَـارِيَ فِي شَمْسِـــهِ عِـلَّـةٌ فَلَيْسَـــتْ تُضِـــيءُ فُؤَادَ الأَلِيمْ
وَلَـيْـلِـي كَـوَاكِـبُـهُ سُـــهَّـدٌ وَلٰكِنْ على ضَـوْءِ نَجْمٍ يَـــتِيمْ
يُــــبَعْثِرُ خَـافِـتَ أَضْـــوَائِـهِ فَلا يَـهْـتَـدِي عَـابِرٌ أَوْ مُقِيمْ
وَأَيَّامُ عُـمْـرِيَ شَـهْـرٌ ثَـــوَى فَـلا قَمَرٌ، بَـلْ ظَـلامٌ عَـقِـيـمْ[2]

إلٰهي، أَغِثْنِي، فُؤَادِي سَقِيمْ

إلٰهـي، ذُنُـوبِيَ أَشْـــقَـى بِهـا وَأَخْشَى، إذا مُتُّ، حَرَّ الـجَحِيمْ
تُـــؤَرِّقُ عَـيْـنِيَ أَطْـيَـافُـهُ وَأَكْلُ الضَّرِيعِ وَسُقْيَا الـــحَمِيمْ[3]
جُـلُـودٌ تُـبَـدَّلُ فِي لَـمْـحَـةٍ وَيَنْضَـــجُ كُلٌّ، فَمَا مِنْ سَـــلِيمْ
وَأَيْـدٍ تُصَـــفَّـدُ فِي أَرْجُـلٍ وَتُكْوَى جِبَـاهٌ عَنَـتْ لِلرَّجِيمْ[4]
وَنَارٌ على النَّـاسِ مُؤْصَـــدَةٌ تُحَطِّمُ كِبْرَ الظَّلُومِ الغَشُـــومْ
فَعَفْوَكَ، يـا رَبِّ، لا حَـوْلَ لِـي خُـلِـقْـتُ ضَعِيفًا، وَأَنْتَ الحَلِيـمْ

إلٰهي، أَغِثْنِي، فُؤَادِي سَقِيمْ

إلٰهـي، دُمُـوعِـيَ أَبْـوَابُهَـا مُـغَـلَّـقَـةٌ بِضَـــلالٍ جَسِـــيمْ
مَعَـاصِـــيَّ قَـدْ جَرَّدَتْ مُقْلَتِي وَوَجْهِي مِنَ المـاءِ، فَـاهْـدِ الأَثِيمْ

---

١ اللّيل البهيم: الّذي لا ضوء فيه إلى الصّباح.

٢ ثوى: أقام– استقرّ. الظّلام العقيم: الّذي لا هواء فيه، أو لا خير فيه.

٣ الضّريع: الشّوك المسمّى بالعَوسَج. الحميم: الماء الحارّ.

٤ تصفّد: تقيّد. عنتْ: خضعَتْ.

وَدَاوِ الـفُـؤَادَ بِـنُـورِ هُـدًى لِتَحْيَا الشِّـغافُ، ويحيَا الصَّـميمْ[1]

وَفَجِّرْ دُمُوعِيَ، تَبْـكِ الَّـذي مَضَى، حِينَ جَافَ الجَبِينُ الأَدِيمْ

وَتَبْـكِ الشُّـهُورَ الَّتي بُـدِّدَتْ ولا ذِكْـرَ فـيـهـا لِـرَبٍّ عَـلِـيـمْ

وَتَـبْـكِ مَخَافَةَ أَنْ تكْـتَـوِي بِنَارٍ، وَتُـحْـرَمُ مَـثْـوَى النَّعِيمْ

إِلٰهِي، أَغِثْنِي، فُؤَادِي سَقِيمْ

---

١ الشِّغاف، مفردها الشّغفة: وهي من القلب رأسه، عند معلّق النِّياط. الصّميم: العظم الّذي به قوام العضو.

مَنِ الفتى النَّشوان؟ (موشَّح)

مَنِ الفَتى النَّشوانْ   يُسقى كُؤوسَ الجَهْلِ   ولا يَمُجُّ الأثامْ؟[٢]
هلْ يَطهُرُ الوِجدانْ   مِنْ لَطَخاتِ الوَحْلِ   فأنثَني لا أُضامْ؟

***

كَمِ استَطَبْنا العَيْشْ   نَنْفُشُ صَدْرَ اللَّيْثِ   تُصِمُّنا الكِبْرِياءْ
حتّى أَطَلَّ النَّعْشْ   لِبادِنٍ وغَثِّ   مُسَربَلًا بالبُكاءْ[٣]
فانْفُضْ غُبارَ الغِشّْ   تُبصِرْ جلاءَ الغَوثِ   وبارِقاتِ الرَّجاءْ

***

ها قدْ أتاكَ اثنانْ   وبادَرا بالسُّؤْلِ   فهَلْ تُجيدُ الكَلامْ؟
ما أعجَزَ الإنسانْ   في غَمَراتِ الظِّلِّ   حيثُ تُفَتُّ العِظامْ

***

يا لَعذابِ القبرْ   يَفتِكُ بالأوصالِ   مِثلَ أَزيزِ الرَّصاصْ
هُنا شُجونُ العُمْرْ   وزُبْدةُ الأعمالِ   فهلْ تَرى مِنْ مَناصْ؟
أتقِنْ فُنونَ السَّيْرْ   في حَلَكِ الأدغالِ   تَنَلْ جميلَ الخَلاصْ

***

حَلِّقْ إلى الإيمانْ   إلى مَراقي النُّبْلِ   إلى أجَلِّ مَرامْ
وخاطِبِ الوِجدانْ   واشفِ حريقَ الغُلِّ   واطوِ سِجِلَّ الحَرامْ

***

لا تُبدِعِ الأشعارْ   مُوَشَّحاتِ الكَلِمِ   مُنَمَّقاتِ الحُروفْ
لنْ تُفلِحَ الأوتارْ   في بَثِّ صِدْقِ الأَلَمِ   وقارِصاتِ الصُّروفْ[٤]

---

٢ يمجّ: يقذف، يرمي.

٣ البادن: الضّخم– السّمين. الغثّ: النحيف– الرّديء. المسربل: المرتدي.

٤ الصّروف: المصائب.

فَلْـــــتُطلِقِ الأفكارْ إلى الفضــــاءِ العَرِمِ[1] ولا تَخَفْ مِنْ كُسُـــوفْ

***

يا قــارِئَ الــقُــرآنْ في ظُلُمـاتِ اللَّيـلِ والغـافِلونَ نِـــيـامْ

أُعرُجْ إلى الـــــرَّحْمٰنْ بالجسَـــدِ الـــــمُعتَلِّ أضْناهُ طُولُ الــــقِيامْ[5]

***

الـــــدَّمعُ في خدَّيكْ لأْلاؤُهُ ذو غُـــرَرِ كأنَّـــــــهُ مِنْ جُمانْ

فاسكُبْهُ مِنْ جَفْنَيْكْ تكسَّـــرا مِنْ سَـــهَرِ واسـلُكْ سـبيلَ الأمانْ

وأرسِـــلَنْ كفَّيْـكْ وتُــبْ لرَبِّ البَشَـــرِ قــبـلَ فَـواتِ الأوانْ

***

لا عُــذْرَ بـعْـدَ الآنْ والـوَيـلُ كـلُّ الـوَيْـلِ لِـــــمَنْ يُحِبُّ الظَّلامْ

قَلْبي صَـــدى عُنوانْ وواحةٌ للإبْـــــــلِ ومُـلـتَـــــقًى لـلأنامْ

***

١ العرم في الأساس: السّيل الّذي لا يُطاق. وهو صفة تشير إلى الاتّساع والعظمة.

٥ أضناه: أتعبه.

قرآني ونبيّ

اِقرَأْ حُروفَ النُّورِ في القرآنِ

اِقرَأْ حُروفَ النُّورِ في القُرآنِ ... واجعَلْ فُؤادَكَ ساحةَ الإيمانِ

ولدي الحبيبَ، إليكَ نُسخةَ مُصحَفٍ ... فانهَضْ ورتِّلْ سُورةَ الرَّحمٰنِ

أحسِنْ وُضوءَكَ، واتلُ صوتًا خاشعًا ... ولْتَرْمِ دمعَ الصَّادِقِ العَينانِ

هذا كِتابُ اللهِ، فاحذَرْ هجْرَهُ، ... صُنْهُ بقلْبٍ طاهِرٍ ولِسانِ

وَلَدِي الحبيبَ، (خُذِ الكِتابَ بقُوَّةٍ)، ... تَجِدِ الهَناءَ وفَيضَ الاطْمِئْنانِ

حياتي نَسْجُ قُرآني

حـيـاتِي نَسْــجُ قــرآني أُرَتِّلُــــــهُ بإيــــمـانِ
يُسَـــيِّرُ كُـلَّ هــاتِـفَــةٍ ويَـــغْمُرُ كُلَّ وِجْدانـــي
أُتَــــمْتِمُ آيَـهُ صُــبْحًـا وحِينَ اللَّيـلُ يَغْشــانِـــي
مَلَكْتُ الـــنُّورَ في قَلْـــبي فبــــاتَ الـــخَيرُ عُنوانِي
حَفِظْتُ الْـــمُصْـحَفَ الزَّاهِي لــــيَحْـفَـظَـني ويَـرعــانِي
وحُـــبُّ اللهِ في رُوحـــي مَـدًى مِـن ضَـــوعِ رَيحـانِ
أناجـيـهِ بـــــمـا أَتْـلُـو فــألــقــى اللهَ ناجــاني
دَمــي بِالهَــدْيِ دَفَّــاقٌ وفِي الْـفَـمِ لَـفْـظُ فُـرْقـانِ
ســأحيـا بَـيْنَ آياتــــي ويُحــيــي الــرُّوحَ قُــرآني

القرآن المهجور

أُمّتي، لنْ يَموتَ فيـكِ الـــــرَّجـاءُ　　فهُــــدى القُرآنِ الـــحَكيمِ عَزاءُ
مِنْ مَعينِ الإســـلامِ خيرُ نِظـامٍ　　قَصُـــــرَتْ دونَ طَـيْـفِـهِ الجَـوزاءُ
هُو ذا مِنهـاجُ الحيـاةِ، وصَـــرْحٌ　　جَـهِـدتْ في إعـلائِـهِ الأنـبِـيـاءُ
هو ذا كوكبُ الـــــسُّـــراةِ، وفِكْرٌ　　يُقلِقُ الـــــظَّالمينَ حيثُ أســاؤُوا[1]
دَولةٌ ثَـبْــتَةٌ بِـيَـــــشـرِبَ قامَتْ　　فزَهَـتْ تحتَ ظِلِّـــــها الأرجـاءُ[2]

***

صـــرخةُ الحقِّ حينَ دوَّى صـــداها　　نفَرَتْ منها أنْـــفُسٌ صمَّـــــاءُ
بعْـــثرَتْ مجْدَنا الـــــتَّليدَ بأيدٍ　　حرَّكـــــتْها الأحـــــقادُ والأهواءُ
مـــزَّقوا شرْعَ المصطفى واســـتمَدُّوا　　شـــرْعَهُم ممّنْ دبَّ فيــهِ العَيـاءُ
هجروا القرآنَ الّـذي فيــهِ هَـدْيٌ　　وادَّعَوا أنَّـــــــــهُ لِقومٍ شَـــقاءُ
هجروا الـــدِّينَ، ثمَّ قالوا بخُـــبْثٍ:　　«ما هجَـــــرْناهُ، إنَّـــنا أتــقياءُ»
كـيفَ خـانوهُ، والخيـانـةُ كفْرٌ؟　　كيفَ أمســـى للكـافرينَ الوَلاءُ؟
هـجروهُ، لٰكــــــنَّنـا ســـنُلبِّي　　قد سمِعْـــنا الـنِّداءَ، نِعْمَ الـنِّداءُ

***

تَهجُرونَ القرآنَ والــــنُّورُ فيـهِ؟　　تَهجُرونَ الإسلامَ وهْوَ الـــشِّفاءُ؟
لنْ تُطيحُـوا بهِ، وإنْ سانَــدَتْكُــمْ　　أمَّـةُ الكفْرِ، أو طغى الأوصِـــياءُ
غَــــــرَّكـــــمْ باللهِ الغَرورُ، فسِرْتُمْ　　مثلمـا قـالَ الكـافِرونَ وشـــاؤوا
غَـــــرَّكُـــــمْ شَرْقٌ مُلْحِدٌ يتباهى　　بـنِـظـامٍ مصـــيرُهُ الانـطِـواءُ
غَـــــرَّكـــمْ غَربٌ يَجْـــعَلُ المالَ ربًّا　　فتوهَّـــــــــــــمتُمْ أنَّ هٰذا هناءُ
ضلَّ مَسعاكُـــــم بينَ شرقٍ وغَربٍ　　وهُمـا في شَـــرْعِ الحكيمِ ســـواءُ

---

١ السّراة: السّائرون ليلًا.

٢ الثّبتة: الشّجاعة.

إنَّ دربَ الـضَّلالِ للـنَّارِ يُفضي فاحْذَرُوا أنْ يَكونَ فيها الـجَزاءُ[1]

***

قد خلعتُمْ عن جِسمِكُمْ خيرَ ثوبٍ تسألون العُراةَ: أينَ الـرِّداءُ؟!

تطلبونَ البعيدَ وهْوَ قَريبٌ وتظنّونَ أنَّكُمْ حُكَماءُ

ويحُكُم! شوَّهْتُمْ تعاليمَ طٰهَ ثمَّ أعلنتُمْ أنَّكُمْ فُقَهاءُ

ويحُكُم! كلُّكُمْ لطٰهَ خصيمٌ يومَ لا يُجدي مجدُكُمْ والـثَّراءُ

فأجيبوا، ستُسألون، أجيبوا: هلْ لـمَنْ أنزلَ الهُدى أكْفاءُ؟

قدْ رأينا عُقولَكُمْ فوجدْنا أنَّها في تشريعِها خَطلاءُ[2]

كلُّ أخطائِكُمْ تجلَّتْ وبانتْ، فانـظُروا: هلْ في دينِنا أخطاءُ؟

فاذهبُوا أنتُمُ وكلُّ نِظامٍ وضعَتْهُ الغاياتُ والأهواءُ

***

أمَّتي، كفكِفي دُموعَ اللَّيالي وانْهَضي، طالَ الـنَّومُ والإغضاءُ

أمَّتي، زلزلي العُروشَ، وعودي قوَّةً تخشى هولَها الأعداءُ

هدرَ الحقُّ فاستجيبي، وضِجّي وارفَعي رايةً مَداها الـسَّماءُ

[1] يفضي: يوصِل- يؤدّي.

[2] خطلاء: حمقاء.

ارفع بيمناك الكتاب[1]

اِرْفَعْ بيُمْناكَ الكِتابَ وجَلْجِلِ ... قُرآنُ ربِّي: حاضِري، مُسْتَقْبَلي[2]

مِنهاجُ عُمْري كُلِّهِ في هَدْيِهِ ... وبدَفَّتَيْهِ النُّورُ يُشْرِقُ، يَنْجَلي[3]

هُوَ عِزَّتي، وبهِ اعْتِلاءَةُ هَامَتي ... وبهِ لِدارِ الخُلْدِ يَزْهُو مَأْمَلي

إنْ لمْ أَصُنْهُ مِنَ الأذى بجَوارِحي ... ودمي وروحي، فَلْأُلازِمْ مَنْزِلي

بلْ فَلْيَكُنْ بَطْنُ الثَّرى لي مَنزِلًا ... يَقضي على ذُلِّي المَريرِ المُوغِلِ

أنا لَسْتُ أَرْضى أنْ يُدَنَّسَ مُصْحَفي ... ولئنْ أُحِيلَ الكونُ نارًا تَغْتَلي

فلْيَزْأَرِ البُرْكانُ دونَ هَوادَةٍ ... حتَّى يُطيحَ بعرشِ ليلٍ أَلْيَلِ[4]

يا أيُّها الطَّاغوتُ كَيْدُكَ باطِلٌ ... وغدًا بما أَوْقَدْتَ حِقْدًا، تَصْطلي

يا بُوشُ، يا ابْنَ هِرَقْلَ قَيْصَرَ، هٰذِهِ ... راياتُ يرموكَ، الرَّوابيَ تَعْتَلي

ولَسوف نَبْتُرُ كُلَّ كَفٍّ دَنَّسَتْ ... آياتِ ذي الجبَروتِ، إمَّا تَفْعَلِ

ولَسوفَ تُقْطَعُ هذِهِ القَدَمُ الَّتي ... داستْ كِتابَ اللهِ دَوْسَةَ أَخْطَلِ[5]

ولَسوفَ يُجْتَثُّ اللِّسانُ المُفْتَري ... مهما يُقَبِّلْ أَرْجُلًا بتَوَسُّلِ

ديني ودينُ مُحَمَّدٍ يا أُمَّتي ... لا يَرْتَضي غَيْرَ المَقامِ الأوَّل!

كم رامَ إخمادَ النُّجومِ مُغَفَّلٌ ... فقضَتْ عليهِ، ونورُها لم يأْفُلِ[6]

لَوْ كانَ في الحُكَّامِ مُعْتَصِمٌ، لَما ... جَرُؤَ العُلُوجُ على الأَسَارى العُزَّلِ[7]

لو كانَ هارونُ الرَّشيدُ لَخاطَبَتْ ... بُوشَ بْنَ نَقْفُورَ الخِلافَةُ مِنْ عَلِ

فَاحْفِرْ قُبُورَ الحَاكِمينَ، وقُلْ لهمْ: ... مُتُّمْ، فيا جُثَثَ الطَّواغِيتِ انْزِلي

---

١ نُظِمَت عقِب تدنيس المصحف الشّريف في معتقل غوانتانامو.

٢ جلجِل: أحدِثْ صوتًا كصوتِ الرَّعْدِ.

٣ ينجلي: يتَّضِح.

٤ الأليَل: الشَّديد الظّلمة.

٥ الأخطل: الأحمق.

٦ لم يأفل: لم يغِبْ

٧ العلوج: الجُفاة.

لا خيرَ فِي جِيَفٍ لكمْ فوقَ الثَّرى، ... كُونُوا لِدُودِ الأَرْضِ أطْيَبَ مَأْكَلِ

أأقولُ «أصنامٌ»؟ وفيها مِيْزَةٌ ... ليستْ بِكُمْ، والفَضْلُ دُونَ تَفَضُّلِ

ليستْ تَضُرُّ بِنِيَّةٍ في ذَاتِها ... أَمَّا «فَخَامَتُكُمْ» فَنَحْسٌ مُبْتَلِي

فِي «ظِلّكُمْ» لا ظِلَّ يَحْمي مِنْ لَظًى! ... وهل اللَّظَى مِنْكُمْ نَدِيُّ المَنْهَلِ؟!

أنّى تَصُونُونَ الكِتابَ مِنَ الأذى؟! ... أنّى يثورُ مُمَرَّغٌ بتَذَلُّلِ؟!

أنّى يُواجِهُ عُهْرَ أمريكا الأُلى ... صُنِعُوا بِمَطْبَخِها اللَّئيمِ الفُلْفُلِ؟!

أنّى تَرَوْنَ العارَ في تَدْنِيسِهِ ... وَرَمَيْتُمُوهُ فِي الحَضِيضِ المُوحِلِ؟

أوَما اتَّخَذْتُمْ مِنْ سِواهُ شِرْعَةً ... وَزَجَجْتُمُ أحبابَه في المَعْقِلِ؟

دَنَّسْتُمُ القُرآنَ قَبْلَ إِمامِكُمْ ... «بوشَ» الحقيرِ، فَبِئْسَ حُكْمَ مُضَلِّلِ

يا رايتي، هيا اهْزَئِي بحُطامِهمْ، ... يا مُصْحَفي، أشْرِقْ بِهَدْيٍ مُنْزَلِ

مستقبلُ الإسلامِ ها هُوَ خالِعٌ ... أبوابَ قصرِ الكُفْرِ، دونَ تَمَهُّلِ

يا دولةَ القرآنِ، يا حِصْنَ الهُدى ... سادَ الضَّلالُ، فدمِّريهِ وزَلْزِلي

ولْتَعْلُ أصواتُ العقيدةِ عالِيًا ... اللهُ أكبرُ... يا مآذِنُ رَتِّلِي

هذا ربيع المولد

هـــذا ربـيـعُ الـمَـــــوْلِـدِ   فاذكُـرْ نبيَّـكَ واسْـعَـدِ
هل في مدى التّاريخِ مــــن رجـــلٍ مَثيـــلِ الـــسُّـــؤدَدِ؟[1]
هل تُبــــدعُ الأيّــــامُ مِثْلَـــكَ في القديـــمِ وفـــي الغـــدِ؟
أنَّى لهــــا، و«الـــمُصطفـــى» صَفْوُ الوُجـــودِ السَّرْمــــدِ؟[2]
يا مُرسَلًا بالــهَــدْيِ، تَـــــتلُـوهُ بــصـــوتٍ أَحْـــمَـــدِ
يا واحــــةَ الصَّحـــراءِ يـــا يَنبـــوعَ خــيـــرٍ أَمْـــجَـــدِ
كيـــف اقتلَعْــــتَ الأرضَ، كيـــف رفعْـــتَهـــا للفَرْقـــدِ؟[3]
كيف انتشلْتَ القـــومَ مِـــنْ وحْـــلٍ قَمـــيءٍ أسْــــــوَدِ؟[4]
كيف اجـــتَـــثَـــثْتَ الكُفْـــرَ مِنْ عَقـــلٍ، أشَلَّ، مُقَـــيَّـــدِ؟
كيفَ اقتلَعْتَ اللَّاتَ والعُزّى وكُــــــــلَّ مُـــجَـــسَّـــــدِ؟
وصرَختَ فيها: بعد ديـــنِ محمّـــدٍ، لــــــن تُعْـــبَـــدي!
لا تسألـــوهُ: كيـــف؟ فهْـــو ســـرى بخَـــيـــرِ مُـــؤَيّـــدِ
يا وارفَ الذِّكرى سأذكُـر فِيْـك خُـلْـقَ الـمُــــــــرْشِـد
وسأسلُـــكُ الـــدَّربَ الَّتـــي ضـــاءتْ بنُورِ الـــمَسجِـــدِ
فلْتَهْوِ أصنـــامُ الـــحَداثَةِ، ولْــيُـــطَـــهَّـــرْ مَـــعْـــبَـــدي
وَخُذِ البـــراءَةَ والـــولاءَ، وسِــــرْ مَسِـــيـــرةَ مُهْـــتَـــدِ
واجْعَلْ سـراجَكَ في الدُّجى حُبَّ الـــنَّـــبِيِّ مُـــحَـــمَّــــدِ

---

١ السّؤدد: السّيادة والمجد والشّرف.

٢ السّرمد: الدّائم الّذي لا ينقطع.

٣ الفرقد: نجم ثابت الموقع يهتدى به.

٤ القميء: الحقير.

قم للإباء[1]

قُـمْ لـلإباءِ، وزلـزِلْ عَـرْشَ طُـغـيـانِ ... ولْيَمْحُ عزمُ التَّحـدّي حُكْمَ أوثانِ

ولْيَـهْـدُرِ الغضَــــبُ النَّـاريُّ مُخترِقًـا ... كُـلَّ الحُـدودِ، بإصــــرارٍ وإيمـانِ

فيمَ السُّكوتُ، وشَخْصُ الـمُصطفى ولَغتْ ... فيـهِ الكِلابُ، بأنيـابٍ وأســـنـانِ؟

إذا غـدا الحِقـدُ في الـكفَّـارِ مُتَّقِـدًا ... فليُغْرِقِ القومَ زَحفٌ مثْـلُ طوفـانِ

بـل لن يُطهِّرَ أرضَ الشِّــرْكِ قـاطِبـةً ... إلّا تـدفُّـقُ شَـــلّالاتِ بُـرْكـانِ

فـاحمِـلْ بيُمنـاكَ راياتٍ يَضِـــجُّ بهـا ... عِزُّ النُّبـوّةِ، واهـتِـفْ بـينَ خِـلّان:

حِبّي محمّـدٌ المختـارُ، سَـــلْ: أَرَقى ... يومًا إلى أخمَصــيـه رأسُ إنســانِ!؟

أنـتـم بِـوادٍ سَـــحيـقٍ، قَـعْـرُهُ قـذِرٌ ... وحـولَـكُـمْ بُـؤَرٌ مَـلْأى بأدرانِ[2]

أبالشَّـــتـائـمِ، أوْ مـا خـطَّـهُ قـلَـمٌ ... ترجُون خَدْشَ الأعالي، خَدْشَ عَدنانِ؟

تــــبًّا لكم، أغبياءَ العَصرِ، كيف لكم ... أن تَخْدِشـــوه، وأنتم بعضُ جِعْلانِ!؟[3]

هو النَّـــــــــبيُّ الَّذي ضاءَتْ شمائلُهُ ... على الزَّمـانِ، فبـاهى كـلَّ أزمـانِ

فـإن تعـامـتْ نفوسٌ، فـاهزَأنَّ بهـا: ... لن يسلُبَ الشَّمسَ نورًا بعضُ عُميانِ

***

يا أمّـةَ الهـدْيِ، كم من هـامـةٍ شمَخـتْ ... فـداسَـــهـا الكُفرُ في حِقـدٍ وطغيـانِ

كم اســتُبيحـتْ دِيارٌ، واســتُبيحَ دمٌ ... وشُـــوِّهـتْ أوجُـهُ القتلى بإمْعـانِ

يُقـدِّسُ الغربُ كـأسَ الخَمرِ في يـدِهِ ... ويعبُـــدُ المالَ في صِـــدقٍ وإذعانِ

أمّـا «الإلٰـهُ»، فـمعـنًى يَـهْـزَؤُونَ بـهِ! ... كمـا تَهكَّمَ قِـدِّيسٌ بشَـــيطـانِ

كـيـف انـتـظـارُكَ أن يَـرعَـوْا محـارِمَـنـا ... ويَرعَوُوا عنْ ضـــلالاتٍ وبُهتـانِ؟[4]

---

[1] نُظِمَت عقِب حملة الرّسوم المسيئة للنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام.

[2] الأدران: الأوساخ.

[3] الجعلان، مفردها الجعل: حشرة كالخنفساء، تكثر في المواضع النّديّة.

[4] يرعوون: يكفّون ويرتدعون.

والأنبياءُ بعينِ الغَربِ شِرذِمةٌ مِنْ ساحرٍ قاتِلٍ، أو زِيرِ نِسْوانِ

كأنَّهُمْ حين ظنُّوا العَيبَ في رُسُلٍ، مَلائِكُ اللهِ، في طُهرٍ وإحسانِ!

كأنَّهم، إذ رمَوْا طٰهَ النَّبيَّ، فِرًى، أزكى البريَّةِ، في أثوابِ رُهبانِ!

أباتَتِ المُومِسُ الشَّمطاءُ واعظةً في المؤمنينَ، وتُعطي صَكَّ غُفرانِ!؟

***

هٰذي حقيقةُ «حُرّيَّاتِهم»: نَزَقٌ وخُبْلةٌ، وحياةٌ دونَ عُنوانِ[1]

هٰذي حضارتُهم: تَقْديسُ عاهرةٍ تَسيرُ فيهم بجِسْمٍ شِبْهِ عُريانِ

هٰذي ثقافتُهم: إطلاقُ كُلِّ هوًى حتّى «الشُّذوذِ»، وقُرْبى كلِّ عِصيان

تبًّا لقاطرةِ «الإِذْزِ» الَّتي عَبَرَتْ فوقَ العُقولِ، فأمسَتْ دونَ وِجدانِ

خَوَتْ نفوسُهُمُ منْ ذِكْرِ خالقِها فجلجلتْ بصدى بُومٍ وغِربانِ[2]

***

يا سيِّدَ الخَلْقِ، يا أزكى الورى خُلُقًا لا عُذرَ، إنْ سَلِمَتْ كَفُّ الفتى الجاني

يا سيِّدَ الخَلْقِ، يومُ الثَّأْرِ نَرْقُبُهُ لٰكنَّ دونَ المنى آلافَ جُدران

إذا أرادَ الفتى إعلانَ غَضْبتِه زجُّوا بهِ خلفَ أسوارٍ وقُضبان!

حلَّ الهوانُ بنا، مُذْ شاءَ «قادتُنا» أن نُشترى، دُونَما تحديدِ أثمانِ

لو كان فينا إمامٌ، في عقيدتِهِ زَهْوُ الشَّهامةِ، لمْ «نَنعَمْ» بخِذْلان

متى؟ متى تنتهي مَأساةُ أمَّتِنا ويَنهَضُ النُّورُ من ظَلماءِ أكفانِ!؟

راياتِ أحمدَ، عُودي، وانْسِجي أمَلي وأبْطِلي سِحْرَ فرعونٍ وهامانِ.

---

[1] الخبلة: فساد العقل.

[2] جلجلت: أحدثتْ صوتًا عاليًا.

شمس الوجود

يا لهيبَ الرّمالِ عَبْرَ الفيافي ... وانْصِهارَ الْجَلِيدِ في إِلْطَافِ[1]

أنتِ يا شمسُ زَورقٌ ماجَ في ... كلِّ أوانٍ مُسَرَّحَ المجذافِ

تتهادَينَ، مَوْكِبُ المُلْكِ يَذْري ... أكؤُسَ النُّورِ، والدُّنى في ارتشافِ

وعلى عِطفَيكِ انْثَنَى وَتَدَلَّى ... عَسجَدُ البُرْدِ في خيوطٍ كِثافِ[2]

أيُّ نجمٍ وإنْ تقطَّعَ غيْظًا ... ليس يَرقى إليكِ في الأوصافِ

يَرْمُقُ الشُّهْبَ والكواكبَ تجري ... حولَكِ الدَّهْرَ، لا يَحِلُّ التَّجافي

كم غَبِيٍّ مُدَّتْ إليكِ يداهُ ... يَحْسَبُ النُّورَ جَمرَةَ الأضيافِ

فانْثَنَى في الرَّمادِ بعضَ غُبارٍ ... فَوقَهُ تَعدو شارِداتُ الخِرافِ

وحَقودٍ أمسى سحابًا يُواري ... أَلَقَ النُّورِ لَمْحَةً مِن كَفافِ

نُفِشَ العِهْنُ... ثمَّ أصبحَ ريشًا ... رَذَلَتْهُ الرّياحُ في إسفافِ[3]

وجيوشُ الذِّئابِ مَهْمَا تمادَتْ ... قلْ لها: أينَعَتْ ليومِ القِطافِ

ظُلُماتُ التَّنْكيلِ والكيدِ طالَتْ، ... وسيأتي الطُّوفانُ خَتْمَ المَطافِ

يرتدي البهْلَوانُ أثوابَ لَيْثٍ ... ويُدَوِّي التَّصْفيقُ: فُزْ باحترافِ

فإذا ضَجَّ صادِقٌ مِنْ زئيرٍ ... سقَطَ المُدَّعي عَنِ الأكتافِ

يومَ تُجلى حقائقُ الغَدْرِ تَهوي ... ناطِحاتُ السَّحابِ، كالأَصْدافِ

يا رَحيقَ الشُّعاعِ، يا مُخمَلَ النُّورِ، ... ويا عَذْبَ سَلْسَبيلٍ صافِ

ما عرَفتِ الغروبَ.... ما طافَ غيمٌ ... بكِ... أو شارِدٌ مِنَ الأَطْيافِ

غَيْرَ أنَّ الْعَيْنَ الّتي تَعْشَقُ الظُّلْمَةَ ... تَغْفُو، وما شُعَاعُكِ غافِ

كلُّ شيءٍ، إنْ شِئْتَ تُخفيه، لٰكنْ... ... نورُ شمسٍ جريئةٍ غيرُ خافِ

هٰكذا أنتِ... عالَمٌ مِنْ يقينٍ ... فاضَ في مِنَّةٍ وفي إترافِ

---

١ الفيافي: مفردها الفَيْفَاء، وهي الصّحراء الواسعة.

٢ العِطف هو من الإنسان جانبه من رأسه إلى وركه.

٣ العهن: الصّوف المصبوغ. الإسفاف: الدّنوّ من الأرض.

أوَلَسْتِ الهدى ونَهْجَ نبيٍّ ... أوقدَ الغارُ عَزمَهُ بهُتافِ

بهُتافِ «اقرأْ» وُلِدْتِ سُمُوًّا ... غمَرَ الكونَ بالضِّياءِ الشّافي

ذابَ كُلُّ الجليدِ، وانسابَ نَهْرٌ ... في رُبوعِ القُلوبِ والأَعْطافِ[1]

زَهَقَ الباطِلُ، ازْدهَى الحقُّ شَمسًا ... تُعْلِنُ الخيرَ شامِخَ الأهْدافِ

---

[1] الأعطاف: مفردها العِطف.

والقلم

وما يسطرون

يا أخا الدِّينِ تعالْ

يا أخا الــــــدِّينِ تعالْ نَمْشِ في دربِ الكَمالْ
اِكسِــــبِ المــالَ بِحـقٍّ وارْضَ بالـرِّزْقِ الحَلالْ
أُصــدُقِ الــــنَّاسَ بقولٍ واتَّـخِذْ خيرَ الـخِصالْ
اِتَّـــــبِعْ قرآنَ ربِّـــي واجتنِبْ كلَّ ضَـــلالْ
اِمضِ، واجعَلْ، كلَّ يومٍ، جنَّةَ الخُلْدِ الــــمَنالْ

فِتية العلم

أيا فِتْيةَ العِلْمِ في المَعْهَدِ ... هنيئًا لكُمْ، فُزْتُمُ بالغدِ
غدٍ مُشرقٍ، نورُه ... شريعةُ خيرِ الورى: أحمدِ
تباشيرُ أعمالِكُمْ لم تَزَلْ ... تُحَرِّكُ شوقًا إلى المَوْعِد
ففي جَنَّةِ الخُلْدِ ربُّ الهدى ... أعدَّ الثَّوابَ لِمُسْتَرْشِدِ
تعلَّمْ وعلِّمْ، فهٰذا الهدى، ... ونِعْمَ الفضائلُ أنْ تَهتدي
مِنَ الصَّرْحِ هٰذا، لنا مُرْتقًى ... إلى ساحةِ المَجْدِ والسُّؤددِ[1]
هنا أنتَ تَلْقى فتى تالِيًا، ... وتَسمَعُ ترنيمةَ المُنْشِدِ
هنا هيْنَماتُ الدُّعاءِ سَمَتْ، ... وَدَاعٍ إلى ساحةِ المَسجِدِ[2]
سنبقى، وفي كفِّنا مُصحَفٌ ... لنهنأَ في الصَّحْوِ والمَرْقَدِ
ألا باسمِ ربِّكَ فاقرأْ معي، ... هل الرَّيُّ إلَّا من المَوْرِدِ؟
أيا طالِبَ العِلْمِ، ذا مَعْهَدي ... إليَّ، فإنِّي أمُدُّ يدي
إليَّ، نكُنْ نحنُ جيلَ التُّقى ... وقُمْ جدِّدِ العزْمَ، قُمْ جدِّدِ

١ السّؤدد: السّيادة والمجد والشّرف.

٢ الهينمات: الأصوات الخافتة.

اِمضِ في رَكْبٍ مُطَهَّمْ

طالِبَ الحقّ تَقدَّمْ وأطِحْ بالجهْلِ يُهزَمْ
لكَ في العِلْمِ سلاحٌ من كِتابِ اللهِ يُضرَمْ
بيدَيكَ الماءُ، تَروي منهُ مَنْ شاءَ، فيَغنَمْ
أنتَ مَنْ صامَ وصلّى أنتَ مَنْ للهِ أسلَمْ
اِمضِ في رَكْبٍ مُطَهَّمْ[1]

دينُنا قُرَّةُ عَينٍ فاحْتَضِنْهُ وتبسَّمْ
إنْ يكنْ همَّكَ علْمٌ فهْوَ في القُرآنِ أحْكَمْ
فَوقَ أهلِ العِلْمِ طُرًّا خالِقٌ أعلى وأعلمْ
فاسألِ اللهَ رشادًا ومِنَ الزَّلّاتِ تُعْصَمْ
اِمضِ في رَكْبٍ مُطَهَّمْ

الجَنى حُلْوُ مَذاقٍ فابْغِ أجرًا وتعلَّمْ
وإذا كنتَ وحيدًا فاقتربْ، لا تتوهَّمْ
ها يدي مُدَّتْ، فأقبِلْ، إنْ تعاوَنّا، أتنْدَمْ؟
نحنُ في رَكْبِ رَشادٍ هُوَ للإسلامِ مَعْلَمْ
اِمضِ في رَكْبٍ مُطَهَّمْ

١ المطهَّم: المتناهي الحُسْن.

يا جيل الصَّحوة

يا جِيلَ الــصَّحوةِ والــدِّينِ ... قُرآني نورٌ يَهديـــــــــني
إيمــانٌ، عِـلــمٌ، أخــلاقٌ ... هٰذي بالــــرَّحمةِ تَـــرويني

***

غرِّدْ بـــــزمانٍ فِتْـــــــيتُهُ ... أشـــبــالٌ بينَ بســـاتينِ
وبنــاتٌ هنَّ نســـيمُ هُـدًى ... وعــفــافٌ بــينَ رياحــينِ
مِنْ مَوكِبِكُمْ يســـري قبَسٌ ... ونِــداءٌ لــلـغـدِ يـدعــوني

***

يا جيلَ الــصَّحوةِ والــدِّينِ ... قرآني نورٌ يَهديـــــــــني
إيمــانٌ، عِـلــمٌ، أخــلاقٌ ... هٰذي بالــــرَّحمةِ تَـــرويني

***

اِقرأْ من «طٰـهَ» و«الفجرِ» ... وتـدبَّرْ آياتِ «الـــنُّونِ»
فـ«الـنَّصْرُ» بهِ، و«الفتْحُ» بهِ ... و«الـــنُّورُ» لدربِ فِلَسْطينِ
بالــــسَّيْفِ الأمضى والقلمِ ... سَـنَقُضُّ مَضـاجعَ صُـهيونِ

***

يا جيلَ الــصَّحوةِ والــدِّينِ ... قرآني نورٌ يَهديـــــــــني
إيمــانٌ، عِـلــمٌ، أخــلاقٌ ... هٰذي بالــــرَّحمةِ تَـــرويني

يا جيلَ الـصَّحوةِ، خُذْ بيَـدي ... ولْــنَقْرَعْ بابَ الـمَــكنونِ
لــلأقْــوَمِ يَــهـدي قُــرآني، ... دُســـتوري فيــهِ وبُرهــاني
الْـــجَـــنَّةُ تَعشَقُ من سَجَدُوا ... والــــرُّكَّعُ أهلُ الـــتَّمكينِ

***

يا جيلَ الـــصَّحوةِ والــدِّينِ قرآني نورٌ يَهديــــــــــني
إيمــانٌ، عِــلــمٌ، أخــلاقٌ هٰذي بالـــــرَّحمةِ تَــــرويني

مشكاة الرَّشاد

أيُّها السَّائِلُ عنْ نَهْجِ السَّدَادِ … هٰهُنا تُوقَدُ مِشكاةُ الرَّشادِ[1]

أفلَسَ الغارِقُ في أَموالِهِ … يَلْطِمُ المَوجَ بِكِبْرٍ وعِنادِ:

«كم أناجي دِرهَمي في خِدْرِهِ … والطُّمأْنينةُ لا تَغشى فؤادي»

واستَباحَ الهَمُّ في جَوفِ الدُّجى … عاشِقَ السُّلْطةِ ينْأى عنْ رُقادِ:

«كم أطاحَتْ بعدُوٍّ قبضتي، … والأسى يَرصُدُني في كلِّ نادِ!»

ومضى الباحِثُ عنْ شُهْرَتِهِ، … يُوسِعُ الكفَّينِ عَضًّا في افتِقادِ:

«كم أضعْتُ العُمْرَ ألهو بالمُنى، … وسَرابُ الوَهْمِ يَلْهو برَمادي»

***

يا وريثَ المُصطفى في أُمَّةٍ … غمَرَتْ بالهَدْيِ أشتاتَ البِلادِ

هٰهُنا في مَعقِلِ العِلْمِ انتَصِبْ، … أيُّها الحُرُّ، وقُدْ زَحْفَ العِبادِ

مِن عَرينِ الفِقْهِ، زمجِرْ، ينطَلِقْ … بالصَّدى صوتُكَ، يَغزو كلَّ وادِ:

«ها هي الحيتانُ تستغفِرُ لي … في بحارٍ، تحتَ أمواجِ السَّوادِ»

«وأرى أجنحةً يَبسُطُها … لي ملاكٌ، سَرَّهُ قَصْدُ اجتِهادي»

اِحتَسِبْ عِلمَكَ، كُنْ لُؤْلُؤةً … تَنشُرُ النُّورَ، وتَبقى في اتِّقادِ

اِرتَوى جَوفُكَ، فُزْ ثانيةً، … وانهَضِ الآنَ، لتَروي كلَّ صادِ

***

أَسمِعِ الغُصْنَ صُداحًا رائِقًا … واعلُ، ما حلَّقَ في الآفاقِ شادِ

أطرِبِ الكَونَ كلامًا ساحرًا … نبَذَ اللَّغْوَ وألوانَ الفَسادِ

أنتَ لا تَحمِلُ عِلْمًا بارِدًا … آثَرَ العُزْلةَ في «ذاتِ العِمادِ»

أنتَ لا تملِكُ فِكرًا جامدًا … أُوصِدَ البابُ عليهِ، منذُ «عادِ»

---

١ المشكاة: الكوّة في الحائط.

دعوةُ الإسلامِ أعطَتْ كَنْـــــــزَها، خَوفَ أن يُـدفَنَ، أعنـاقَ الجيـادِ

فـاخـلَـعُـوا الـيـومَ عـلـيـهـا حُـلَـلًا تَخلُـبُ الــــــطَّرْفَ بألوانٍ جِـدادِ

إنَّـــــهُ عَصْرُ اتِّـــــصالٍ، فانشُروا لســـفيرِ الــــنُّورِ أوراقَ اعتِمـادِ

يا نُضارَ الكلامِ

اِمضِ في اللَّيلِ، مَوكِبَ الكُبَراءِ … رغْمَ فَتْكِ الدُّجى ولَطْمِ الماءِ

فالأعاصيرُ لا تُكَفكِفُ عزْمًا … صاغهُ إيمانٌ عظيمُ الرَّجاءِ

اِرفعِ الصَّوتَ، فالكلامُ سِلاحٌ … يُوقِعُ الظَّالِمينَ في بأْساءِ

إنَّ وقْعَ الإعلامِ في النَّاسِ أمضى … مِنْ سُيوفٍ تَجولُ في الأعداءِ

إيهِ، يا شاشةَ العُذوبةِ، جُودي … بالهُدى في شَمسِ الضُّحى والمَساءِ

اِفتقدْنا وجْهَ الفضيلةِ عُمْرًا … فوجدْناكِ مَوضِعًا لِلعَزاءِ

يا نُضارَ الكلامِ، كوني سَميري … ومَلاذي في حَومةِ الفَحشاءِ[1]

واجعَلي الأجيالَ الجَديدةَ تُسْقى … مِن ينابيعِ الذِّكْرِ دونَ ارتواءِ

فصُداحُ القرآنِ ينسابُ عِطرًا … يَتزكّى بوافِرِ الأنداءِ

وجَنى الفِقْهِ مِن أثيرِكِ يَمضي … ويُضيءُ النُّفوسَ باللَّأْلاءِ

وشُجونُ الإسلامِ في كلِّ أرضٍ … تَبلُغُ السَّامعينَ دونَ عَناءِ[2]

تلكَ حقًّا هيَ الرِّسالةُ، فامضي، … وبأفواهِنا جزيلُ دُعاءِ:

«أثْلَجَ اللهُ صَدْرَ من كانَ فينا … حامِلًا أزْكى الحَمْدِ، أزْكى الثَّناءِ»

«أُعْلُ يا صوتَ الحقِّ، لا تَخشَ ضَيرًا … فلَكَ الأجْرُ مِنْ إلٰهِ السَّماءِ»

---

١ النُّضار: الذّهب- الخالص من كلّ شيء. حومة الفحشاء: أشدّ موضع فيها.

٢ الشّجون: الهموم، الحاجات الشّاغلة.

مسافر في كلّ اتِّجاه

سِرْ واثِقًا في دُروبِ الـــمَجْدِ دونَ ونى   فــإنَّ مـيراثَ أهــلِ العِلْـمِ كــلُّ غِـنى[1]

لعــلَّ خُطْوَتَــكَ الوُثْـــــقى مُحطِّمــةٌ   كِــــبْرَ الجهولِ، فـــتحيا في القُلوبِ مُنى

أبْــــحِرْ على أملٍ، مهما الخِضَـمُّ رمى   موجَ الفَسادِ، وأفـــنى في الـــنُّفوسِ سنا[2]

لعلَّ مِـــجدافَك الـــمَوَّارَ يُوصِلُـــنا   لشاطِئٍ، فيهِ يَــلْقى الــمُبْحِرُ الــسَّكَنا[3]

حلِّــــــقْ بكــلِّ سمــاءٍ لا طُيورَ بهــا   حيثُ الغُـــيومُ أعدَّتْ للـــنَّدى كَفَـــنا

لعلَّ شمْسَـــكَ تَــــــجْلو كلَّ مُظْلِمةٍ   وتُـــوقِـــظُ العَـــقْلَ من نَومٍ طغى زمَـــنا

في الــبَرِّ، في الــبَحْرِ، في الأجواءِ عاليةً   بالأمسِ، واليومَ، في مُستَـــقبَلٍ رُهِـــــنا

مُعـــلِّمَ الــنَّشْءِ، هٰذا الــنُّورُ تبذُلُـــهُ   للـــــطَّالبينَ، ولا ترجو لـهُ ثَــــمَنا

***

مُعــلِّمَ الـنَّشْءِ، كم أفنَـيْتَ من عُمُـرٍ   واللَّــــــيلُ يدفعُـــهُ صبحٌ حبا وهِنا[4]

وكم سكبْتَ على الأوراقِ من مُقَـــلٍ   والـــدَّاءُ أوشكَ أن يَخــــتارَها وطَـــنا

تُحبِّــــــرُ اليومَ أوراقًـــا، على أمــلٍ   أنْ تُــــبهِجَ العينَ أوراقٌ علَتْ فَــــنَنا[5]

أما ارتـقَيْتَ الـصُّخُورَ الـصُّمَّ تغرِسُها   فأينَــعَتْ، والــشَّذا الفـوَّاحُ بعضُ جَنى؟[6]

نـــزعتَ أشواكَ جَهلٍ، فالـــيدانِ دمٌ   ولا أنــــينَ، ولا شـــكْوى، ولا حزَنا

فاهنأْ بــمَـــــــرْتَـبةٍ ليسَ الـمُلوكُ لها   وإنْ تَـــجـــمَّعَ ما في الـــتُّرْبِ قد دُفِنا

***

---

١ الونى: الضَّعْف.

٢ الخضمّ: البحر الواسع. السّنا: الضّياء.

٣ الموّار: المتحرّك المتدافِع.

٤ حبا: زحَفَ.

٥ الفنن: الغصن المستقيم من الشّجرة.

٦ أينعت: نضجت.

مُعـلِّمَ الـنَّشْءِ، ضاءَ الحَرْفُ حينَ شدا   بخـادِمِ الحَرْفِ، والإبـداعُ قـد فُــتِنـا[1]

إذا الهِدايـةُ كـانَــتْ فيـكَ مـاثِلـةً   فسِــرْ، وأبحِرْ، وحلِّقْ، واهتِفـنَّ: أنا!

١ شدا: ترنّم وتغنّى.

لغتي

هُدْنةً، باللهِ، تَـــــأســـى لِجراحي لا تُبيحوا حُرُماتي للـــــــرِّمـاحِ
غُـــصَّةُ العُمْـــرِ تمادَتْ وانــتَضَتْ سـيفَها يَنهَشُ أوصـــالَ الجَناحِ[1]
أطلِقوني كي أُناجِي خُـــــلَّتي أطلِقوا، باللهِ، يا قومُ، سَــراحي
كيفَ لا أهواكِ، يا مَعشـوقَـــتي وأُناجيكِ، مســائي، وصَـــباحي؟

***

لغتي، يا لـكِ من دفْقٍ سَـــرى في شـــرايــــينيَ كالماءِ القَراحِ[2]
لــغـــتي، يا وردةً حــالمــةً يَــبــزُغُ الـطِّيــبُ بها حُلْوَ الوِشاحِ
حدِّثيـــــني سِـحْرَ ألحانٍ مَضـى يَســكُبُ البَهْجةَ في أقصـى البِطاحِ
كـلُّ حرْفٍ شـــفتي تَبـــــعَثُهُ هوَ مِنْ روضِـــكِ، يَزْهو كالأقاحي
كـلُّ بيـتٍ ســـطَرَتْ أُنمُلـتي هو إلهامُكِ قد طافَ بســـاحي

***

شـهِدَ الـــتَّاريخُ كم من كُـــتُبٍ، بِلِسانِ العُرْبِ خُطَّـــتْ دونَ ماحِ!
كيفَ قالوا اليومَ: لا نكتُـــــبُها؟ وإذا العُــــجمـةُ مَرقًى للفَلاحِ
زَحَـفُـوا نَحـوَ سَـــرابٍ خـادِعٍ، تركوا الواحـاتِ، تَشْـكُو وتُلاحي[3]
طُمِسَـــتْ أبصـارُهُمْ، بل أبصَـروا بعُيونٍ سُــلِبَـتْ كـلَّ اتِّضـــاحِ
خَلَــــــبَتْ ألبابَهُمْ أُســطورةٌ نسَــجَ الغربُ، فـأُلقُوا في انبِطـاحِ
نارُهُمْ باتَـتْ رمـادًا، تحـــــتَـهُ شرَرٌ، فلْـــتَحذَري زَيفَ الـصَّباحِ[4]

***

---

١ انتضت السّيف: أخرجته من غمده.

٢ القَراح: الخالص الصّافي.

٣ تُلاحي: تُلاوِم.

٤ زيف الصّباح: الفجر الكاذب.

لغتي، يا صـــخرةً قـد حطَّمَـتْ خُطَطًا باءَتْ بأوهـامِ الـــــنَّجـاحِ
اِســـحَبي الـــــذَّيـلَ غُرورًا وافِرًا ليسَ في الكِبْـــــرِ عليهِمْ من جُناحِ[1]
أَنْـبِـــــئِـيـهِـمْ أنَّ قُـرآني حَمـى صَرْحَكِ الـشَّامِخَ مِنْ زَحْفٍ صُراحِ[2]
واهتِـــفي: «يُمناي تَحوي مُصحَفًا، لا أُبالي، فاحشِدوا كلَّ الـسِّلاحِ»
«شدَّتِ الـــرَّحْـــلَ ضُحًى قافِلَتي وستمْضي وسْطَ أصواتِ الـنُّـباحِ»
«أقلَعَ الــــمَرْكَبُ، لنْ يُوقِفَــــهُ صـخَبُ الموجِ ولا صَـدُّ الـــرِّياحِ»
وارفَعي الــــرَّأسَ، ولا تَلـــــتَفِتي وارْسُـمِي دربَكِ، وامْضي في انشِراحِ
حَدِّثي الأكوانَ أنْ لنْ تُـــقْــهَري، ودَعِي الحاسِـدَ يَشـقَى بالــــنُّواحِ
أنتِ في الــــتَّاريخِ جَذْرٌ ضــارِبٌ فـاضــــرِبيهِمْ، وارفَعي كـلَّ وِجـاحِ[3]

***

لن تَرى مُقلَــــــتُنـا طيفَ الكَرى قبـلَ جعْـلِ الكَيْـدِ في نحْرٍ مُبـاحِ[4]
فـلُـغـاتُ الأرضِ تحـيـا حِـقـبـةً ثمَّ تـــــفنى بعدَ شـــدْوٍ وصُـــداحِ
والَّتي لمْ يَخْــــبُ يومًا صـوتُــــها تجعلُ الحُــــسَّـادَ سَـكْرى دونَ راحِ

---

١ الجُناح: الإثم والجُرم.

٢ الصُّراح: الخالص الصّافي من كلّ ما يعيب.

٣ الوجاح: السّتر.

٤ الكرى: النّعاس.

أفياء العفّة....

أكناف البطولة

أختاه

أُخْتاهُ، هيَّا اهْجُري الدُّنيا وما فيها … فما الهناءةُ أنْ نَشْقَى ونُرضيْها

أتَطْلُبينَ سوى مَرضاةِ مَنْ سَجَدَتْ … لهُ الوُجوهُ، وخَرَّتْ مِنْ أعاليها؟

أتطلُبينَ سَرابًا لا وُجودَ لهُ … وتلكَ واحاتُكِ، الرَّحْمٰنُ باريها؟

لا تجعَلي مِنْ فِتاةِ الغَرْبِ رائِدةً … فقد تهاوَتْ، وباتَ الخُلْقُ يَبكيها

سارتْ على دَربِها في اللَّيلِ تائِهةً … وتَطْلُبُ الفَجْرَ، لٰكنْ ليسَ يَأتيها!

وأنتِ تُشْرِقُ فيكِ الشَّمْسُ بازِغةً … في كُلِّ صُبْحٍ، وليسَ اللَّيلُ يَطويها

فكيفَ تَنظُرُ منكِ العَينُ شاخِصةً … إلى نُفوسٍ، هَوى الأجسادِ يُفنيها؟!

***

هيّا ارفَعي الرَّأسَ، أنتِ اليومَ مُسلِمةٌ … ألقتْ زخارِفَ دُنيا، خابَ راجيها

هيّا اصرُخي: «أنا يا إسلامُ قادِمةٌ … وإنْ تكنْ قَدَمي الأشْواكُ تُدميها»

«لبّيكَ، لبّيكَ، في الآفاقِ أُعلِنُها، … لبّيكَ، لبّيكَ، في الأسْماعِ أُلْقيها»

«حضارةُ الغَرْبِ لنْ تُغشِي على بَصَري، … سأُوقِفُ الزَّحْفَ يَأتي من نواديها!»

***

كوني الحياةَ، وكوني أنتِ رائِدةً، … كوني النُّجومَ، لمنْ طالتْ لياليها

كوني كزينبَ، أو كوني كفاطمةٍ … وأرْجِعي يا ابنةَ الإسلامِ ماضيها

سيري على دربِكِ الوَضّاءِ في ثِقةٍ … ولْيَمْضِ زَحْفُكِ في الدُّنيا يُزكّيها

هيّا، ففجْرُكِ في الأكْوانِ مُنبثِقٌ … وأنْتِ مُستَقبَلُ الخَيْرِ الّذي فِيها

إلى رحاب الله

عجبًا، أعيـدي القولَ، هيَّـا، ردِّدي — أُذُناي لمْ تَـعِيـا الـكَـلامَ فـجَـدِّدي
هلْ قُلْتِ: «مسلِمةٌ»؟ قد ارتعَشَـتْ لها — مِنّي الــــضُّـلوعُ، بحَقِّ ربِّ مُــــحمَّدِ
هل أنتِ مُسـلِمةٌ؟ أجيــــبي، إنَّـــــني — في حَـيرةٍ حلَّـتْ كَـلَـيـلٍ أســــوَدِ

***

قَدْ صَـــدَّ شَـــعرُكِ عن شــــريعةِ أحمدٍ — وعلا الــــــبُروجَ، فلا تَهوني، شَــيِّدي
غدتِ الحَضـارةُ أنْ تُشـادَ رؤوسُــــــنا — فلْــــــترفَعي صَـــرْحَ الجُنونِ الأمجَـدِ
الموتُ لا يخشــى الــــبُروجَ مَشــيدةً — خافي مِنَ اللهِ الَّذي بالـــمَــــــــرْصَدِ

***

أضـــواءُ باريسَ اســـتَبَتْ نُورَ الهُدى — من مُقلَتَيكِ، بكُـحْــلِها، فـتـزَوَّدي[1]
قالوا: ســـلاحُــــــكِ نَظرةٌ قـــــتَّالةٌ — فسُــحِرْتِ بالــــــــتَّعبيرِ دونَ تردُّدِ
وغدوتِ «قاتِلةً»، فطِيـــبي، واهْـــنَـئي — فالـنَّارُ مَـثوى القاتِلِ الـمُــــــتَـعَمِّدِ

***

سِيما الــــسُّجودِ على جَـــبينِكِ غائِبٌ — ويلاهُ!! هلْ أغْـفَلْتِ دربَ الـمَسْـجِدِ؟[2]
لِـــمَ لمْ تُجيــبي؟ هلْ تركْتِ صَلاتَـــنا؟ — لا، لا تُجيـــــبي، فالإجابةُ في يدي
حوَّلْـــتِ قِبْـــلَتَكِ القديـــمةَ عندَما — يـــــَمَّـمْتِ وَجهَـكِ نحوَ غَربٍ مُعتدِ

***

تِـلْـكَ الـقِـلادةُ فـوقَ نَحـرِكِ زُوِّدَتْ — رَسْـمَ الـــمُـــغنِّي! يا لهُ مِنْ مَشْـهَدِ!
ألِـذا رمَيتِ كتابَ ربِّــــــكِ جانِبًا؟ — وأخذْتِ شَـرْعَكِ من عَمٍ ومُـــعرْبِدِ؟
لمْ تَحْـــــتُـمي مِن وحْيِ ربِّـــكِ آيةً — وخَتَمْتِ أشرِطةَ الغِـــناءِ الــمُفسِـدِ
فحفِظْـــــتِ منهُ كلَّ ما أُفْـــهِمْتِـــهِ — وتشـــوَّقَـتْ أُذُناكِ لِلْـــــمُســتَورَدِ

---

١ استَبَتْ: أسرَتْ.

٢ السِّيما: العلامة.

أصغيتِ للـشَّيطانِ «يُخلِصُ» نُصـحَهُ: «هٰذا كِتابي، فاقْـــرَئي، وتَعبَّـــدي»
وغدًا، ســيُســأَلُ، كلُّـــــنا في قَبرِهِ: «ماذا كتابُكَ؟» ما الإجابةُ؟ حدِّدي

***

أُختـاهُ، إنَّ الخـيرَ في إســـلامِـنـا هوَ نورُ مـاضـيـنـا، ونورٌ للغَـدِ
لا تُخـدَعـي بحضـــارةٍ مَمـزوجـةٍ بالخَمْرِ والفَحشاءِ، بعْدَ الـــــمَوعِدِ
طالَ الــــرُّقادُ، وآنَ أنْ تَســتيقِظي وتُغادِري الـــظُّـــلُماتِ نَحْوَ الفَرقَدِ[1]
فحضـارةُ الـــقُرآنِ جَــنَّـــةُ عابِدٍ في الــدِّينِ والــدُّنيا، فلا تـــتَرَدَّدي
ثُوري على الأصـــنامِ، لا تَـــثِقي بِها وتَـــقَـدَّمي نحوَ العَفـافِ ورِدِّدي:
أنا في رِحـابِ اللهِ، مســلِـمـةٌ أنا قد عُدتُ للـــرَّحمٰنِ، يا دُنيا اشْـهَدي

١ الفرقد: نجم ثابت الموضِع يُهتدَى به.

يا ذات الخمار[١]

اِصْــــفَعي خَــدَّ الكُفْرِ في كُـلِّ حِينِ   بِـيَــدٍ أُودِعَــتْ حَــلالَ الْـيَـقِـينِ

وامْـلَـئِـي أَفْـواهَ الـقَـذارَةِ رُغْـمًـا   بِـرُجومٍ مِـن الحصَــــى والـطِّينِ[٢]

وَاسْـــكُبِي نارًا فَوْقَ سُــــودِ قُلُوبٍ   تَصْــــرَعُ الحـاقِـدينَ دونَ أَنـينِ

أَنْــتِ يا أُخْــتُ نَجْـمَـةٌ تَـتَحَـدَّى   بَطْشَ عُهْرٍ يَصولُ كالــتِّنِّــيــــنِ

أَنْـتِ يا أُخْــتُ بَـيْنَ أَكْـوامِ فَـحْـمٍ   دُرَّةٌ مِــنْ مــاسٍ فــريــدٍ ثَمــينِ

أَنْــتِ مِـنْ أُمَّـةٍ تَـرَى الـعُـهْـرَ عـارًا   وتَـرى السِّـــتْرَ تاجَ كُـلِّ جَـبينِ

وَنَـوادِي الـغَـرْبِ الـبَـغـيـضِ تُـنـادِي: «أَقْـبِـلـوا أقـبِـلـوا إلى الأَتُّـونِ»[٣]

«أَنا دارُ العُصـــــاةِ والفُحْشِ، هَيّـا   لا تُـبـالـوا بِـعِـفَّـةٍ أَوْ دِيـنِ»

«ولْــــــتُصَــلُّوا في ظِلِّ مِحْرابِ فِسْــقٍ   ولْـــــــتُقِيموا لَيْلاءَكُم في مُجونِ»[٤]

لَسْــتِ منهمْ، إلَّا إذا الشَّـمْسُ كانتْ   مِنْ مَعاني الدُّجى ورَهْطِ الظُّــنُونِ[٥]

لَسْـــتِ منهم، إلَّا إذا العَقْلُ أمْســى   سُـــنَّةً في مَصَحِّ أَهْلِ الـــجُنونِ

فَـاهْزَئي مِنْ أَهْـلِ الضَّــــلالِ، وقُولِي: «أنا يا ربِّ ذاتُ رُشْــــدٍ مَتينِ»

***

يا لَهُمْ مِنْ جُنْـدٍ لإبْلِيسَ ظَــــــنُّوا   في الهَوى ما يَفوقُ وَحْيَ «الأَمينِ»

حَـظَـرُوا عِـفَّـةَ الـفَـتـاةِ، وسَــــنُّوا   لِلبَغـايا ابْتِـدارَ كُـلِّ مُشِــــينِ[٦]

لا، ورَبِّ الأَرْبابِ، لَـنْ تَـتَـخَـلَّـى   ذاتُ خِـدْرٍ عَـن الـرِّداءِ الـرَّزيـنِ

لا فَرَنْســـــا، ولا سِـــواكِ، فَرَنســــا   قــادِراتٌ على اقْتِحـامِ العَرينِ

---

١ نُظِمَت عقِب القرار الفرنسيّ بالتّضييق على الخِمار.

٢ الرّجوم: ما يُرجَم به.

٣ الأتّون: الموقد الكبير.

٤ اللّيلة اللّيلاء: الطّويلة الشّديدة الصّعبة.

٥ الرّهط: الجماعة.

٦ ابتدار المشين: التّسارُع إليه.

فَحُصــــونُ الحيــاءِ أَمْـنَـعُ، أَبْـقـى مِنْ قرارٍ لِلْحَظْرِ أَعْمى العُيونِ

فَـأميـتُـوهُ قَـبْـلَ إِبْصـــارِ نـورٍ واسْـــلُكُوا فيـهِ حِـلَّ وَأْدِ الجنِينِ

وارْكُـلُـوا بِـدْعَـةَ «الحِوارِ» بَـعِيـدًا فـالحضـــاراتُ في صِـــراعٍ مَكينِ

وارْفُضُــوا «الاندِماجَ» في الغَرْبِ، فِرُّوا مِنْ جَحيمٍ يَفيضُ بالغِسْــلِينِ[1]

***

أيْنَ حُكَّـامي والكَرامَـةُ تُسْــبى؟! أَيْنَ مَنْ يَـدَّعُونَ رَعْيَ الشُّـــؤُونِ؟

سَـــلَبُوا خـاطِرِي بقـايا افْتِخـارٍ مِنْ عُهودِ الأسْـــلافِ عَبْرَ القرونِ

ها هُو «المصـطَفَى» لِـــحُرْمَةِ أُنْثى شَـــنَّ حَرْبًا جاءَتْ بِنَصْـــرٍ مُبينِ[2]

نالَ مِنْ سِـــتْرِهـا اليَهودُ، فَنـالوا خَـيْرَ طَـرْدٍ، والـبِرُّ طَـرْدُ الـلَّعِـينِ

والَّتي في «زِبَطْرَةَ» الأَمْسَ صـــاحتْ، فَـأتاهـا الجَوابُ: «لا، لَنْ تَهونِي»

زَحَفَ ابنُ الرَّشـــيـدِ يَنْشُـــدُ ثأرًا وشَوى جُنْدَ الرُّومِ بَيْنَ الحـُـصُونِ[3]

قــالَ: «لَبَّيْـكِ، فـالخِمـارُ عَزِيزٌ! بَعْضُ أَثْمانِهِ اقْتِلاعُ الــــجُفُونِ»

***

لا تَهُـوني أُخْـتــاه، لا، لا تَهـونِي وَارْفُضي فَتْوى الطائِشِ الـــمَفْتونِ

لا تُـبــالِي بِضِـــــفْـدَعٍ وذُبابٍ واهْـزَئِي مِـنْ نَـقِيـقِـهِ وَالـطَّنِـينِ

أَغْمِـدِي حَسْـــرَةَ الخِمـارِ بعُمْـقٍ في قُلوبِ الأَوْغـادِ كـالسِّـــكِّينِ

واصْـرُخي: «سوف يَشْـهَدُ الكَوْنُ أنَّا نَنْشُـــــدُ العَـدْلَ، مَوْعِـدَ التَّمْكِينِ

«نحـنُ لا نَـفْـتِنُ الـكِـتَـابِيَّ يـومًـا، ذاكَ أَمْسي، وَلِي غَدٌ ذُو شُجونِ»[4]

«غَيْرَ أنّ الحكْمَ الَّذي شـــاءَ قَهْرِي لَـنْ أَراهُ بِـغَـيْرِ ثَـوْبِ الـدَّفِـينِ»

«مَـوْعِـدُ الـفَـجْـرِ فـيـهِ دولَـةُ نـورٍ تَحْمِلُ البِشْـــرَ في سَـــدادِ الدُّيونِ»

---

١ الغسلين: ما يسيل من جلود أهل النّار.

٢ الإشارة هنا إلى غزوة بني قينقاع.

٣ ابن الرّشيد: هو الخليفة العبّاسيّ الثّامن المعتصم.

٤ الشّجون: الشُّعَب والفنون، والمراد هنا كثرة الأخبار السّارّة في ذلك الغد المرجوّ.

وصيّة العجوز

قصة الخنساء وأولادها الأربعة في موقعة القادسيّة المجيدة

مَنِ العَجوزُ؟ تُواري الدَّمعَ في المُقَلِ ... تُخفي الوُجومَ بأطيافٍ مِنَ الأَمَلِ
مَنِ العجوزُ الَّتي مِن دارِها خَرَجَتْ ... لِتَقْتَفي أثَرَ الفُرسانِ في عَجَلِ؟
تُسرِّحُ السَّمْعَ في البيْداءِ، تُرسِلُهُ ... إلى البعيدِ... ولٰكنْ ليسَ مِن رجُلِ!
حتّى إذا سئِمَتْ مِن طُولِ ما انتَظَرَتْ ... جَثَتْ على قلَقٍ أقسى من الأجَلِ
وأسلَمَتْ خدَّها البالي إلى يدِها ... وخاطَبَتْ صُوَرًا في البالِ لمْ تَزَلِ
وطالَ ما ردَّدَتْ، والجَفْنُ مُنْكَسِرٌ ... حُزْنًا على أخويها دونما مَلَلِ:
«لولا التَّجلُّدُ بالباكينَ إذْ كثُروا ... قتَلْتُ نفْسي، وما بدَّلْتُ من حُلَلِ»
ماتا، ولمْ تَبْدُ شَمْسُ الدِّينِ، في أُفُقٍ ... أرخى بهِ الكُفْرُ سِترًا جِدَّ مُنسَدِلِ

***

واليومَ، ها هي ذي «الخنساءُ» ناظِرةً ... أبناءَها، بفؤادٍ ليسَ بالوَجِلِ
«القادسيّةُ» نادَتْهُم، فما وهَنُوا، ... بل وافقَ الأمرُ منهُمْ نَخوةَ البَطَلِ
صاحوا: «أيا أُمَّتا، لبَّيْكِ، نحنُ هنا ... ونُصدِقُ اللهَ عهْدًا ليسَ ذا دَخَلِ»[1]
«للزَّحْفِ منَّا اصطبارٌ لا مثيلَ لهُ، ... وما لنا عنْ غِمارِ الحَرْبِ من بَدَلِ»
«من كانَ غايتَهُ إرضاءُ خالِقِهِ ... وجَنَّةُ الخُلْدِ، يُبْغِضْ وَصْمةَ الوَجَلِ»
شَدُّوا الرِّحالَ إلى الميدانِ، فانتصَبَتْ ... تلكَ العَجوزُ بعزْمٍ ليسَ في الجَبَلِ
تاللهِ، ما يعلمُ الرَّائي إذا وقَفَتْ ... قُربَ الفوارِسِ: مَنْ لِلخيلِ والجَمَلِ؟
قالتْ لهُمْ: «لسْتُ أُوصيكُم، وإنْ يكُ لي ... بكُمْ جوًى، أنْ تَقُوا الأجسادَ مِنْ أسَلِ»[2]
«لٰكنْ أريدُ جِهادًا تَسْتَضِيءُ بِهِ ... مِنْ بَعْدِكُمْ أُممٌ ترويهِ كالمَثَلِ»

---

١ الدّخل: الشّوائب.
٢ الأسل: النّبال.

«لا يُبْصِرَنَّ عَدُوٌّ ظَهْرَ واحِدِكُمْ   إنَّ الصُّدورَ مَحَلُّ السَّيْفِ والنَّبَلِ»

***

مَضَوا، وهٰذا أوانُ الأَوْبِ، فانطَلَقَتْ   جُموعُ قومٍ تُوافي مُلتَقى السُّبُلِ
أمٌّ هناكَ، وزوجٌ هٰهنا وقَفَتْ،   وخَلْفَ تَينِكَ بِنتٌ بَعْدُ لَمْ تَصِلِ
وكلُّ واحدةٍ منهُنَّ في قَلَقٍ   إلَّا العجوزَ، فقدْ قامَتْ على مَهَلِ
وأرهَفَتْ سَمْعَها في الأفْقِ ثانِيَةً   فانسابَ صوتٌ يُهادي الخَطْوَ في ثِقَلِ
هفا الفؤادُ، وضَجَّتْ فيهِ بارِقَةٌ   مِنَ الرَّجاءِ، تُريدُ الفَتْكَ بالفَشَلِ
الطَّيْفُ يَدنو، وخلْفَ الطَّيْفِ راحلةٌ   يَجُرُّها، غَيرَ أنَّ الرِّجْلَ في زَلَلِ
ها قدْ أحاطَ بهِ الأقوامُ في لَهَفٍ،   قالوا: «أمِنْ جيشِ سعْدٍ جِئْتَ؟ لمْ تُنَلِ»
أجابَ: «بلْ نحنُ نِلْنا النَّصْرَ، فافتخِري   نَواصِيَ الخَيْلِ، هٰذي سُنَّةُ الرُّسُلِ»
«سبقْتُ سائِرَ جُنْدِ الجَيْشِ أُعْلِمُكُمْ   كيفَ السِّيادةُ للإسلامِ في المِلَلِ»
«وكيفَ كلُّ جَحودٍ نالَ مَصرَعَهُ،   وفرَّ مَنْ سلِمَتْ رِجلاهُ، كالحَمَلِ»
«تَمرَّغَ الكُفْرُ أرضًا، وارتَمى نَزَقًا،   وكانَ يَطْمَحُ أن يرقى إلى زُحَلِ»
«قدْ لُطِّخَتْ بالدَّمِ المسفوكِ رايتُهُ،   ومُزِّقَتْ، وانْزَوَتْ في الوَحْلِ، في خَجَلِ»
«ورايَتي، رايةُ الإسلامِ، رايتُكُمْ   تعلو الغُبارَ، وتَهدي قادةَ الثِّلَلِ»[1]
«تَلقى الأكُفَّ تَبارى: مَنْ يُعانِقُها؟   مَنْ يستظِلُّ مِنَ الرَّمضاءِ بالظُّلَلِ؟»
«سنابِكُ الخَيْلِ تُوري تحتَها شَرَرًا،   وأعيُنُ الجُنْدِ إشراقٌ مِنَ الأَمَلِ»[2]
«لا يَعلَمُ المرءُ: مَنْ مِنهُمْ أشدُّ رضًا: أداحِرُ الكُفْرِ، أمْ مُدمًى ولَمْ يَئِلِ؟»[3]
«هٰذا يُعِدُّ لِنَصْرٍ قادِمٍ سُرُجًا،   وذاكَ يرقُبُ أنهارًا مِنَ العَسَلِ»

***

١ الثّلل: المجموعات.

٢ السّنابك: أطراف الحوافر. توري: توقِد.

٣ لم يئل: لم يرجع.

هنا توقَّفَ، وامتدَّتْ لواحِظُهُ ... إلى العجوزِ، فغَصَّ الحَلْقُ بالجُمَلِ

أمالَ عينيهِ، لٰكنْ بعدَ أنْ قرَؤُوا ... عبارةً فيهِما مرَّتْ على عَجَلِ

تردَّدَتْ: أتُناديهِ فيَفجعَها؟ ... أمْ تُؤثِرُ الصَّمْتَ، يُنجيها... إلى أجَلِ؟

وقبلَ أن تَصطفي ردًّا، تملَّكَها ... عزْمٌ تدفَّقَ سيلًا غيرَ مُنخَزِلِ[١]

نادَتْهُ: «أقبِلْ، أخا الإسلامِ في ثِقةٍ ... فلسْتُ أرهَبُ، مهما حَلَّ مِنْ جَلَلِ»

قالَ: «الشَّهادةُ، يا أُمَّاهُ، فابتَهِجي ... فالأرضُ قدْ رُوِيَتْ بالماطِرِ الهَطِلِ»

«قدكُنتِ تَبْكينَ مَنْ في النَّارِ مَسكنُهُ ... واليومَ، بُشراكِ بالأبرارِ، فابتَهِلي»

«هٰذا سَيَمْسَحُ مِنْ عينيكِ دمعَهُما، ... طوبى لأرواحِهِمْ في المَوردِ الخَضِلِ»[٢]

***

قالتْ: «أفي الصَّدْرِ نالُوا الطَّعْنَ يا ولدي؟ ... لا تُخْفِ عنِّي، أجِبْني، قبلَ مُنْتَقَلي»

أجابَ: «كُنَّا، إذا ما ثَغرةٌ خُرِقَتْ ... لدى العدُوِّ، نراهُمْ أوَّلَ الثُّلَلِ»

«ومَنْ تأخَّرَ في جُرحٍ يُضمِّدُهُ ... لاموهُ: هلْ أنتَ عنْ مولاكَ في شُغُلِ!؟؟»

«وإنْ كَبَتْ ضربةٌ في سيفِ واحِدِهِمْ ... صاحوا: تذكَّرْ... فتذكو النَّارُ في المُقَلِ»

«قد صافَحوا القَتْلَ حتّى نالَ بُغيَتَهُ ... وغيَّرَ الدَّمُ لونَ البِيضِ والحُلَلِ»

قالتْ، وقامَتُها كالطَّودِ راسِخةٌ: ... «لا حُزْنَ، لا دمْعَ، لا آهاتِ مُكتَهِلِ»[٣]

«الحمدُ للهِ، إذْ قد شاءَ لي شرَفًا، ... وقَرَّتِ العَينُ فيهِمْ قبلَ مُرتَحَلي»

«وأسألُ اللهَ جَمْعَ الشَّمْلِ يومَ غدٍ ... في جنَّةِ الخُلْدِ، في النَّعْماءِ والظُّلَلِ»

ثمَّ استدارَتْ لتمضي حيثُ خيمتُها ... فقالَ مَنْ جاءَ بالأنباءِ، في مهَلِ:

«يا خالتا، ما الَّذي عَدُّوا تذكُّرَهُ ... مَثارَ عَزْمٍ، يُعيدُ البأسَ في الرَّجُلِ؟»

قالتْ: «وَصِيَّةُ أمٍّ، طالَ ما جَهَدوا ... أن يكتُبوها بحِبْرٍ سالَ مِنْ نَبَلِ»

***

١ المنخزل: المنقطع.

٢ الخضل: النَّدِيّ.

٣ المكتهل: العجوز.

ها هم جنودُكِ، جُنْدُ الحقِّ، فافــــــتخِري يا أمّـــــةً ورثَـــــتْ وحيًا مِنَ الـــــرُّسُلِ

إذا الوصيَّـــــةُ لمْ تُحـــــــيِ الـــنِّساءُ بِها عقيدةَ الـــنَّشْءِ، لا ترقُبْ سوى الفَشَلِ!

وفي الوداع

يا شِعر

يا كـوكَـب الإلهـامِ في الأُفُـقِ ... ومَـدارَ مـا في الكونِ من ألَقِ[1]

يا أيُّـــــها الشِّعْرُ انهَمِرْ دِيَــمًا ... تَجْتَاحُنا... لا بأْسَ بالـــغَرَقِ[2]

إن لم تُســـافِرْ عَبْرَ أَضْـــلُعِنـا ... فإلامَ يَلهو الحِبْرُ بالــــوَرَقِ؟؟؟

وإنِ اتَّشَـــحتَ بِبَعضِ أنسِـــجَةٍ ... مِن إرثِ ماضٍ، فانْأَ عنَ طُرُقي

فجِّرْ بِوِجْدَاني الأليمِ شـــجًــــا ... أســـبِغْ عليَّ فضـــيلةَ الأرقِ[3]

بَعْثِرْ قيودي، غيرَ مُــــــتَّئِدٍ ... وادْخُـلْ مَعي مُسْـــتَنْقَعَ القَلَقِ

يا مَـطْهَرَ الكَلِمـاتِ مِنْ دَرَنٍ ... رافِقْ فؤادي الطِّفْلَ في الغَسَـقِ[4]

يا شِـــعْرُ، لولا أنتَ ما قَلَمي؟ ... مـا أحرُفي؟ مـا كُـلُّ مُؤتَلِقٍ؟

سَنَسِيرُ، لا نَخْشى العذابَ، معًا ... في عـالَـــــمٍ فـانٍ ومُحتَرِقِ

---

١ الألق: اللَّمَعان.

٢ الدِّيَم: مفردها الدِّيمة، وهي المطر الّذي يطول زمانه في سكون.

٣ الشّجا: الحزن.

٤ الغَسَق: ظلمة اللَّيل.

وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ

سورة التّوبة: ١٠٥

محتويات الديوان

المصير

أنت والجوع

إلى الإنسان

واحات التّوبة

هتف الإثم

عليك توكّلي

توق

ندم وتوبة

إلى واحة الإيمان

مناجاة

من الفتى النّشوان؟

قرآني ونبيِّي

اقرأ حروف النّور في القرآن

حياتي نسج قرآني

القرآن المهجور

ارفع بيمناك الكتاب

هذا ربيع المولد

قم للإباء

شمس الوجود

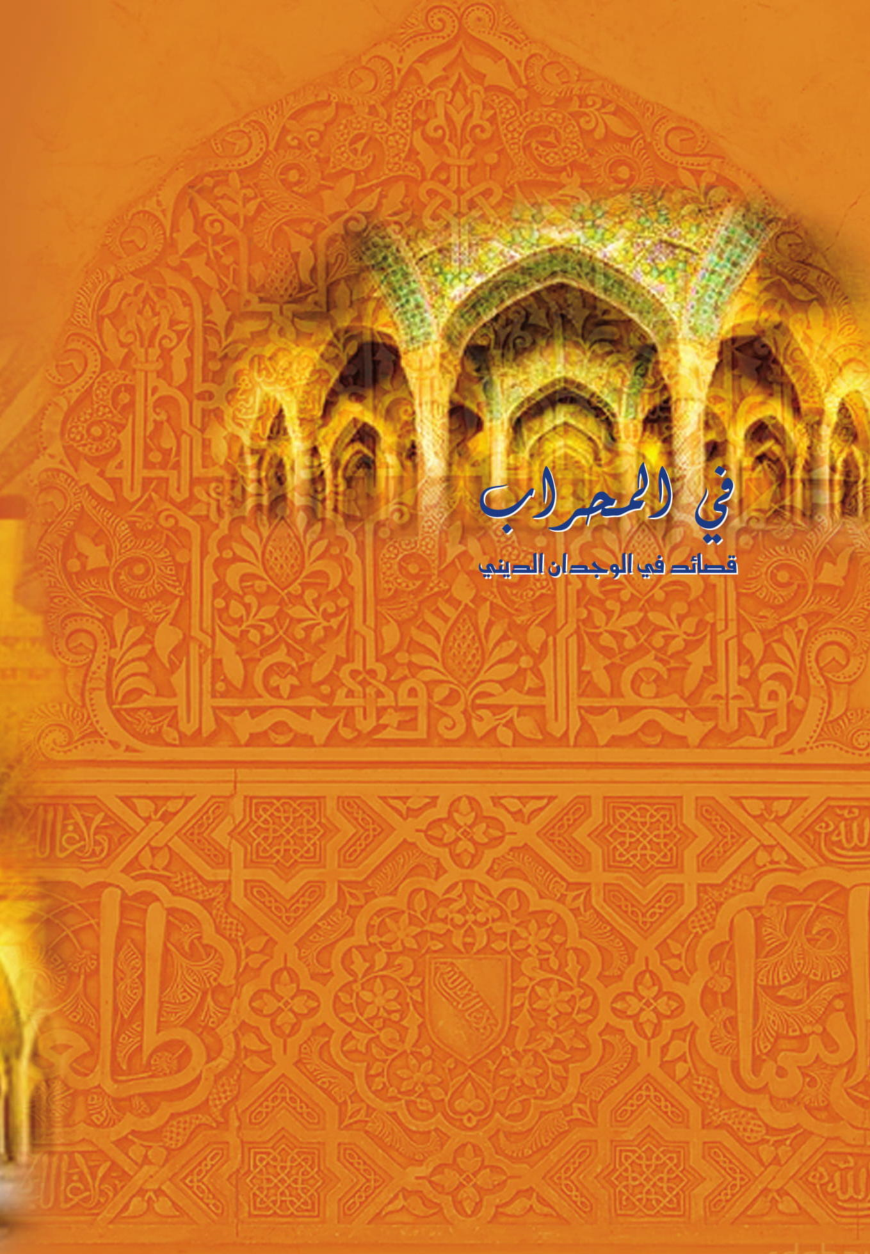
والقَلَم وما يسطرون

يا أخا الدّين تعال

فتية العِلم

أفياء العِفّة... أكناف البطولة

وفي الوداع:


في المحراب
قصائد في الوجدان الديني